إتحاف النبلاء

بأخبار وأشعار الكرماء والبخلاء

لابن المبرد جمال الدين الدمشقي الصالحي الحنبلي
(المتوفى سنة ٩٠٩ هجرية)

تحقيق ودراسة
يسرى عبد الغني البشرى



إتحاف النبلاء

بأخبار وأشعار الكرماء والبخلاء

لابن المبرد جمال الدين الدمشقي الصالحي الحنبلي
(المتوفى سنة ٩٠٩ هجرية)

تحقيق ودراسة
يسرى عبد الغني البشري

مكتبة ابن سينا
للنشر والتوزيع والتصدير
٧٦ شارع محمد فريد . جامع الفتح - النزهة
مصر الجديدة القاهرة ت ٢٤٧٩٨٦٣ / ٢٤٨٠٤٨٣



حول المؤلف والمخطوط وخطـة التحقـيق

هو ابن المبرد جمال الدين ـ يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادى الدمشقى الصالحى ـ أخوه ابن المبرد شهاب الدين صاحب المؤلفات العديدة والمتوفى (٨٩٥ هـ) .

ولمؤلفنا عدة تصانيف فى غاية التحرير، منها :

١ ـ مغنى ذوى الأفهام عن الكتب الكثيرة فى الأحكام ، مجلد فى الفقه، ويسير إلى الإجماع والوفاق والخلاف بنفس الألفاظ على طريقة مجمع البحرين، ودرر البحار للحنفية ، بديع الوصف فى ذكر الراجح عند أهل المذاهب ، لخص ما فى هذا الكتاب من كتاب جمع الجوامع .

٢ ـ جمع الجوامع فى الفقه. جمع فيه الكتب الكبار الجامعة لأشتات المسائل، كالمغنى والشرح الكبير، والفروع، وغيرهما، وزاد تقولات غريبة بديعة، ويرمز فيه للخلاف على طريقة الفروع ، وسع الكلام فيه بحيث أنه ينقل الرسائل والفتاوى الطويلة بتمامها، ولو كمل هذا الكتاب لبلغ ٣٠٠ مجلداً ، عمل منه ١٢٠ مجلداً .

٣ ـ المعجم لمشائخه .

٤ ـ المعجم للبلدان .

٥ ـ معجم الصنائع .

٦ ـ معجم الكتب .

٧ ـ مناقب الأئمة الأربعة ، وفى ضمنها طبقات أتباعهم .

٨ ـ مناقب العشرة لكل واحد تصنيف مفرد .

٩ ـ شرح ألفية ابن مالك .

١٠ ـ شرح ألفية العراقى .

١١ ـ تجريد العناية .

١٢ ـ جمع الأربعين المتباينة . وأكثر من تخريج الأربعينات قيل : بلغت (٤٠٠) .

١٣ ـ خرج الأربعين النووية بالأسانيد .

١٤ ـ الدرة المضيئة فى فضائل الصالحية .

١٥ ـ عمل تاريخاً فى أيام النبوة إلى زمنه، وأفرد تاريخ كل قرن فى مجلد، وبعضهم فى أكثر، وأطال فى الأول وسماه : بالمطول .

١٦ ـ وأفرد أعيان كل قرن فى آخر وسماه : الرياض اليانعة فى أعيان المائة التاسعة .

١٧ ـ وشرع فى العاشرة وسماه : النجوم الزاهرة فى أعيان المائة العاشرة .

١٨ ـ رتب مفردات ابن البيطار على العلل .

١٩ ـ لخص توضيح المشتتة للحافظ ابن ناصر الدين ، فى ثلاث مجلدات .

٢٠ ـ كتب الرسالة التى نقدمها فى هذا الكتيب ونقوم بتحقيقها وشرحها وتحليل أشعارها وتخريجها وعزوها ، وهى بعنوان : (**إتحاف النبلاء بأخبار وأشعار الكرماء والبخلاء**) .

وهذه الرسالة كتبها ابن المبرد جمال الدين فى شهر رجب المعظم من

سنة (٩٠٠ هـ) أى قبل وفاته بحوالى (٩) سنوات تقريباً ، حيث أنه من المؤكد أن جمال الدين كانت وفاته فى اليوم السادس من شهر المحرم من سنة (٩٠٩ هـ) .

وقد وجدت هذه الرسالة ضمن مخطوطات دار الكتب المصرية تحت رقم [٤٤٠٦١ ز] وهى عبارة عن نسخة بقلم معتاد بخط نسخ يرجع إلى نهايات القرن الثامن الهجرى ويظهر أنها بخط جامعها (ابن المبرد جمال الدين) فى (١٧) ورقة ، ومتوسط مسطراتها ٢٢ سطراً طولها ٢٢ سم وعرضها ١٦ سم ، وبها كلمات مطموسة غير ظاهرة وبالذات فى الأشعار الكثيرة التى وردت فى الرسالة مما ضاعف جهدنا فى التنقيب والبحث عن مصادر هذه الأشعار وكتابتها كتابة صحيحة وشرحها والتعريف بمناسبتها ودلالتها .

والرسالة لايوجد بها عناوين رئيسية أو جانبية لذلك وضعنا من عندنا عناوين أساسية كى تسهل على القارىء القراءة والاستفادة .

ونسأل ـ فى النهاية ـ رب العزة سبحانه وتعالى التوفيق والسداد ، فقد حاولنا ـ ورغم كل السلبيات المحتملة ـ فنسأله سبحانه أجر المحاولة والاجتهاد .

يسرى عبد الغنى

القاهرة فى : جمادى الأولى سنة ١٤٠٩هـ
يناير سنة ١٩٨٩م

مقدمة المؤلف

الحمد لله خالق الأرض والسموات ، ومبدع صنع ما فيهن وما بينهما من المخلوقات ، الذى أحاط علمه جميع الكائنات ، فأدرك ما لهن والأصوات واللغات ..

ثم جعل عباده فى العلم درجات ، وأشكره على ما منَّ به علينا من نعمه السابغات ، وأسأله الثبات فى المحيا وبعد الممات .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمى المبعوث هدى ورحمة للعالمين ، السلام عليه وعلى عباد الله الصالحين .

أما بعد

الباب الأول

الإسلام دين البذل والكرم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادى الدمشقى الصالحى، المعروف بابن المبرد جمال الدين[1] :

اعلم أن الإسلام دين يقوم على البذل[2] والإنفاق[3] ، ويضيع على الشك والإمساك : ولذلك حبب إلى نبيه أن تكون نفوسهم سخية ،

---

(١) ابن المبرد جمال الدين هو شقيق (ابن المبرد شهاب الدين) واسم شهاب الدين هو أحمد بن حسن بن حسن بن أحمد بن عبد الهادى شهاب الدين الشهير بابن المبرد ـ بكسر الميم وسكون الباء . ومن أهم مصنفات ابن المبرد شهاب الدين : (شرح على الخرق) بقى منه اليسير لم يكمله ، (ألغاز فى الفرائض) ، سماها (الفحص الغويص فى حل مسائل العويص) ، وكتاب (فى المحبة والمتحابين) ، وكتاب (الحصن الكبير المحكم البناء المنجى من كل خوف وشدة وعناء) ، وكتاب (الترشيح فى فضل التسبيح) ، وكتاب (الزهد الفائق فى الوعاء الرائق) ، وكتاب (السحر فى وجوب صوم يوم الغيم والقتر)، وكتاب (مقدمة فى الفرائض) وكتاب (جزء من أخبار بشر الحافى) ، وكتاب (الاربعون حديثاً) خرجها لنفسهِ عن أربعين شيخاً من أهل الثقة ، كتاب (شرح الملحة) وهو شرح مطول ، ولابن المبرد شهاب الدين مجموعة من الأشعار حسنة فى مجملها ، ولكنها قليلة ، لأن الرجل لم يعمر إلا نحو الأربعين ـ وكانت وفاته فى شهر رجب سنة ٨٩٥ هـ (راجع فى ذلك ص ٣١ من كتاب (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لمؤلفه محمد بن عبد الله ابن حميد النجدى الحنبلى) .

(٢) راجع ماذكره ابن المبرد جمال الدين على معنى كلمة البذل واشتقاقها فى نفس الكتاب الذى معنا .

(٣) نقول (نَفَقت) الدابةُ ماتتْ وهى من باب دَخَلَ . و (نفق) البيع ينفق بالضم (نفاقا) رَاجَ ، و (النفاق) بالكسر فعل (المنافق) . و(أنفق) الرجل أى افتقر وذهب ماله ومنه قولهُ تعالى : ﴿**إذا لأمسكتم خشية الإنفاق**﴾ و(أنفق) الدراهم من النفقة . و (النفق) بفتحتين سرب فى الأرض له مخلصٌ إلى مكان . والمعنى المقصود أعطى وبذل للناس فى نية راضية .

وأكفهم نديه[٤] ، ووصاهم بالمسارعةِ إلى دواعى الإحسان ووجوه البر[٥] ، وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم لا ينفكون عنه فى صباح أو مساء .

●قال تعالى : ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[٦] .

●واعلم أنه من الواجب المحتم على المسلم أن يقتصد[٧] فى مطالب نفسه ، حتى لا تستنفذ ماله كله ، فإن عليه أن يشرك غيره فيما أتاه الله من فضله، وأن يجعل فى ثروته متسعاً يسعف به المحتاجين والبائسين والمنكوبين ويريح المتعبين .

وخير لك أن تبذل الفضل، وشر كل الشر أن تمسكه ، ولا تلام على كفاف[٨] . وابدأ دائماً بمن تعول فذلك هو الخير والسداد لك،

(٤) كناية عن البذل فى سماحة ـ و(ندا) من الجود يقال : سن للناس (الندى فندوا) ، وفلان (ندى) الكف أى سخى و(الندا) أيضاً بُعْدُ ذهاب الصوت يقال فلان أندى صوتاً من فلان إذا كان بعيد الصوت. و(الندى) الجود، ورجلٌ (نِدٍ) أى جواد، وفلان (أندى) من فلان أى أكثر خيراً منه . وهو (يتندى) على أصحابه أى يتسخى . ولا تقل (يُنَدِّي) على أصحابه .

(٥) البر هو الخير ـ و(البِرّ) ضد العقوق وكذا (المَبَرَّة) تقول (بَرِرْتُ) والدى بالكسر أَبره (بِرًّا) فأنا (بَرٌّ) به و(بَارٌّ) وجمع البر (أبرار) وجمع (البار بررة) وفلان (يبَرُّ) خالقه (وَيَتَبَرَّره) أى يطيعه ـ ولم يذكر أحد سوى الجوهرى صاحب (الصحاح) (التبرر) بمعنى الطاعة .

(٦) البقرة/٢٧٤ .

(٧) من القصد أى إتيان الشىء وبابه ضرب ـ نقول : (قصده) وقصد إليه وله . وكله بمعنى واحد و (قصد) قصده أى نحا نحوه .. و(القصدُ) بين الاسراف والتقتير يقال فلان (مقتصد) فى النفقة . و(اقصد) فى مشيك و (اقصِد) بذرعك أى اربع على نفسك . و(القصد) العدل .

(٨) الكفاف من الرزق القُوت وهو ما كف عن الناس أى أغنى . وفى الحديث =

واليد العليا خير من اليد السفلى .

● قال سبحانه وتعالى فى محكم آياته : ﴿**وآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربهِ كفوراً**﴾[9] .

● وقال تعالى : ﴿**وأما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً**﴾[10] .

واعلم أن السخى[11] قريب من الله ، وهو أيضاً قريب من الناس ، وقريب من الجنة ، بعيد من النار .. والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار . والجاهل السخى أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل .

● وقال سبحانه : ﴿**إن تبدوا الصدقات فنعما هى ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير**﴾[12] .

= الشريف : « **اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا** » . و(استكف) و(تكفف) بمعنى وهو أن يمد كفه يسأل الناس ، يقال فلان (يتكفف) الناس .

(٩) الإسراء/٢٦ ، ٢٧ .

(١٠) الإسراء/٢٨ .

(١١) من سخى أو سخا ـ و(السخاءُ) هو الجود وقد (سخا) يسخو و(سخى بالكسر) (سخاء) فيهما قال عمرو بن كلثوم :

مشعشعة كأنَّ الحُصَّ فيها ... إذا ما المَاءُ خالَطَها سخينا

أى جُدنا بأموالنا . وقول من قال سخينا من السخونة نصبت على الحال ليس بشىء . و(سخو) الرجل من باب ظرف أى صار (سخياً) وفلان (يتسخى) على أصحابه أى يتكلف السخاء .

(١٢) البقرة/٢٧١ .

وقال عز وجل : ﴿**هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ، والله الغنى ، وأنتم الفقراء**﴾[١٣] .

● وقال تعالى : ﴿**وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه**﴾[١٤] .

● وقال سبحانه : ﴿**وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا إبتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمُون**﴾[١٥] .

● وقال تعالى : ﴿**وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم**﴾[١٦] .

● ولا ينبغى أن يغبط أحدٌ أحداً إلا على خصلتين : رجل رزقه الله بالمال، فسلطه على هلكتهِ[١٧] فى الحق ، ورجل آخر أتاه الله حكمة وعلماً، فهو يقضى بهما ويعلمهما الناس .

---

(١٣) محمد/٣٨ .

(١٤) سبأ/٢٩ .

(١٥) البقرة/٢٧٢ .

(١٦) البقرة/٢٧٣ .

(١٧) و(هلكته) من هلك الشى يهلك بالكسر (هَلَاكا) و (هُلُوكا) و (مَهْلُكا) بفتح اللام وكسرها وضمها (تَهلكُة) بضم اللام والاسم (الهُلْكُ) بالضم . قال اليزيدى : (التهلكة) من نوادر المصادر ليست مما يجرى على القياس . و(أهْلَكه) و(استهلكه) . و(المهلكة) بفتح اللام وكسرها المفازةُ . و(هَلَكه) فى لغة تميم بمعنى (أهلكه) وبابه ضرب ويجمع (هَالكٌ) على (هَلْكَى) و (هُلَّاك) . وجاء فى المثل فلان (هالِك) فى (الهوالِكِ) وهو شاذ غلى ماذكر فى المعاجم العربية فى فوارس . و (الهلكة) أيضاً (الهلاك) ولم يتقدم لهذه الكلمة معنى غير ذلك ولذلك حذفها صاحب لسان العرب واعتبرها ضمن الكلمات الضائعة . والحديث اخرجه البخارى : كتاب العلم (٧٣) : باب الاغتباط فى العلم والحكمة . ومسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٨١٦) و(٢٦٨) باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه .

• والدين الحنيف يقومنا على الخير، ويحرضنا على إنفاق المال فى ساحات المعروف، وميادين الخير، فإن مايخلفه الإنسان بعد موته يصير مِلكاً للوارث ، ولا أنيس لك فى وحشةِ القبرِ وظلمته إلا العمل الصالح .

• والمال لا يقدم ولا يؤخر، وبالتالى فإن مال المرء ماقدم ومال وارثه ماأخَّرَ .

• وعلينا أن نتقى النار بالكرم والإحسان إلى الفقير والمحتاج ولو بشق تمرة[18] .

(١٨) ورد حديث نبوى شريف نصه : «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**» أخرجه أحمد عن عائشة . وأخرجه البزار أيضاً عن عائشة ، وحسن المنذرى إسناد أحمد ، وقال الهيثمى : «روى البزار بعضه ، وفيه أبو هلال ، وفيه بعض كلام وهو ثقة» ، وأخرجه أيضاً عن عدى بن حاتم ، وأخرج رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود ، بلفظ : «**ليتقِ أحدكم وجه النار ولو بشق تمرة**» . وانفرد أحمد بهذه الرواية ، وقال الهيثمى : «رجاله رجال الصحيح» . وقال السيوطى فى (الدرر المنتثرة) : وفى الصحيحين من حديث عدى بن أبى حاتم وورد أيضاً من حديث أبى بكر الصديق وأبى هريرة . وأخرجه أيضاً أبو يعلى ، عن أبى بكر وفى إسناده ابن إسماعيل الوساوس ، وصرح الهيثمى بضعفه ، وأخرجه البزار عن أبى بكر ، وأبى هريرة من طريقين : الأول فيه عثمان بن عبد الرحمن الجمحى ، قال أبو حاتم : «يكتب حديثه ، ولا يحتج به» ، وحسن البزار حديثه ، والثانية : فيها عبد الله بن شبيب ، وهو ضعيف ، وأخرجه الديلمى أيضاً عن أبى بكر الصديق بزيادة : «... فإنها تقيم المعوج ، وتسد الخلل ، وتدفع ميتة السوء ، وتقع من الجائع موقعها من الشبعان» . وأخرج الحديث أيضاً النسائى والترمذى وابن ماجه ومالك فى الموطأ ، وزيد بن على فى مسنده . ووجدت الحديث فى (اللآلىء المتناثرة فى الأحاديث المتواترة) للزبيدى – ومن اراد عليه مراجعة : لقط اللآلىء المتناثرة للزبيدى (ص ٦٠/حديث ١٧) ، وصحيح مسلم حديث : ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٩٧ من كتاب الزكاة ، وموطأ مالك حديث (١٢) من كتاب الترغيب فى الصدقة ، وطبقات ابن سعد ٤/١١٠ ، ومسند زيد بن على حديث رقم ٤١٠ ، وصحيح البخارى ، الباب ٣٤ من كتاب الأدب ، والباب ١٠ من كتاب الزكاة ، والباب ٥١ من كتاب الرقاق ، والباب ٣٦ من كتاب التوحيد ، وسنن الترمذى ، الباب الأول من كتاب القيامة ، والباب ٣٧=

● وقرأنا فى الأثر : **ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقولُ أحدهُمَا : اللهم أعطِ منفقاً خلفاً ، ويقول الآخرُ : اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً**[19] .

● ويقول الله فى كل الديانات : **انفق يا ابن آدم يُنْفَق عليك**[20] .

= من كتاب الزهد ، وسنن النسائى ، الباب ٦٣ ، ٦٤ من كتاب الزكاة ، وسنن ابن ماجه الباب ٢٨ من كتاب الزكاة ، والباب ١٣ من المقدمة ، وسنن الدارمى ، الباب ٢٤ من كتاب الزكاة ، ومسند أحمد بن حنبل ٣٨٨/١ ، ٤٤٦ ، ٢٥٦/٤ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٧٧ ، ٦٩/٦ ، ١٢٨ ، وأسباب ورود الحديث لابن حمزة الحسينى ٧٤/١ ، وجامع الأصول ٢٩٥/٧ ومجمع الزوائد ١٠٥/٣ ، والفتح الربانى ١٥٤/٩ ، والجامع الصغير للسيوطى ١٤٣ ، والجامع الأزهر للمناوى جزء ١ ورقة ١٥ ب ، وتمييز الطيب من الخبيث لابن الديبع ٢٤ ، وكشف الخفاء للعجلونى ٨١ ، وحلية الأولياء ١٦٣/٣ ، ١٢٤/٤ ، و١٢٩/٧ ، ٢٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ونظم المتواتر حديث ١١٨ ، والمقاصد الحسنة للسخاوى ٢٤ ، والتذكرة فى الأحاديث المشتهرة للزركشى ، باب الزهد حديث ٢٦ . كما أخرجه الطبرانى فى الأوسط أيضاً عن عدى بن أبى حاتم ، وفى إسناده الحسن بن أبى جعفر الجفرى ، وهو ضعيف . وعلق السيوطى فى «الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة» (ص ٢٤) على نفس الحديث قائلاً : «والحديث إذا كان فى أحد الصحيحين أو فى الكتب الستة لم يعز إلى غيره» والله أعلم .

(١٩) هذا الأثر حديث نبوى شريف عن أبى هريرة رضى الله عنه ــ رواه الأئمة الستة فاتفق عليه .

(٢٠) عن حديث شريف نصه : «**أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك**» أخرجه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه . من حديث شعيب ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة مرفوعاً ، وأخرجه مسلم أيضاً فى صحيحه من حديث معمر ، عن همام ، عن ابن منبه ، عن أبى هريرة مرفوعاً . راجع الحديث فى : (صحيح البخارى الباب ١١ من كتاب التفسير ، والباب ٣٥ من كتاب التوحيد ، وصحيح مسلم حديث ٣٦ ، ٣٧ من كتاب الزكاة ، وسنن ابن ماجه الباب (١٥) من كتاب الكفارات ، ومسند الإمام أحمد ٢٤٢/٢ ، ٣١٤ ، ٤٦٤ ، والمقاصد الحسنة ٢٠٠ ، وتمييز الطيب من الخبيث ٢٤٦ ، وكشف الخفاء ٥٣٤ ، وأسنى المطالب رقم ٣٩٨) . وجاء عن النبى ﷺ حديث آخر : «**انفِق بلال ولا تخشى من ذى العرش إقلالاً**» . أخرجه البزار عن أبى مسعود ــ وأخرجه القضاعى فى مسنده من حديث مالك بن إسماعيل عن قيس بن الربيع عن أبى الحصين ، =

● ويروى أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه رأى رجلاً يسأل رسولنا الكريم ﷺ : أى الإسلام خير ؟ فأجابه الرسول ﷺ : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على مَنْ عرفتَ ومن لم تعرف[٢١] .

● وبينما رجلٌ يمشى فى الفلاة [أو بفلاة] من الأرض ، فسمع صَوتاً فى سحابة يقول : اسقِ حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه فى حَرة ، فإذا شَرجةٌ من تلك الشِراج قد استوعبت ذلك كله ، فتتبع الماء ، فإذا رجل قائم فى حديقته يحوِّل الماء بمسحاته ، فقال له :

= عن يحيى بن وثاب ، عن مسروق عن ابن مسعود ، بلفظ : « دخل النبى ﷺ على بلال وعنده صبر من تمر ، فقال : **ماهذا يا بلال ؟ قال : يارسول الله دخرته لك ولضيفانك . قال : أما تخشى أن يفور لها بخار من جهنم ، أنفق يا بلال ... الحديث** » .
قال البزار : « هكذا رواه جماعة عن قيس ، وخالفهم يحيى بن كثير عنه فقال عن عائشة بدل ابن مسعود » . وأخرجه البزار أيضاً من حديث محمد بن الحسن الأسدى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن مسروق ، عن بلال . وأخرجه البزار أيضاً عن أبى هريرة من حديث موسى بن داوود ، عن مبارك بن فضالة ، عن يونس بن عبيد ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة ، وأخرجه من هذا الطريق أيضاً الطبرانى فى الكبير وإسناده حسن .
والحديث أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث عثمان بن الهيثم ، حدثنا عوف ، عن محمد ابن سيرين ، عن أبى هريرة . وأخرجه العسكرى فى الأمثال من طريق مفضل بن صالح ، عن الأعمش ، عن طلحة . وأخرجه أبو يعلى من حديث حرب بن ميمون ، بلفظ : « **أنفق يا بلال ، ولا تخافن من ذى العرش إقلالاً** » وأورده السيوطى فى الصغير ، وحسنه ، وأورده فى الكبير وعزاه للبزار والطبرانى ، وقال : « وحسن » .
كما ورد نفس الحديث فى « الدرر المنتثرة » للسيوطى حديث رقم (١٣٦) . راجع أيضاً الحديث فى : (المقاصد الحسنة ٢٠١ ، والجامع الصغير حديث رقم ٢٧٤٦ ، والجامع الكبير ٤٢٢/٢/١ حديث ٤٥٨٤ ، والشهاب ١٣٥ وكشف الخفاء ٢١٠/١ ، وفيض القدير ٦١/٣ ، وأسنى المطالب ٤٠٣ ، وتمييز الطيب من الخبيث ٢٤٨ ، واللآلى المصنوعة للسيوطى ٣١٥/٢) .
(٢١) حديث نبوى شريف رواه أبو هريرة رضى الله عنه وأرضاه وهو متفق عليه بين الأئمة الستة .

يا عبدَ الله : ما اسمك ؟ قال : فلان ـ للاسم الذى سمع فى السحابة ، فقال له : يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى؟ فقال : إنى سَمعتُ صوتاً فى السحاب الذى هو ماؤه يقول : اسقِ حديقة فلان لاسمك ، فما تصنعُ فيها؟ فقال : أما إذْ قلتَ هذا ، فإنى أنظر إلى من يخرج منها ، فأتَصدقُ بثلثهِ ، وآكُلُ أنا وعيالى ثُلثاً ، وأردُّ فيه ثلثه[٢٢] .

ـ و«الحرة» الأرضُ الملبسة حجارة سوداءُ . و «الشَرْجَةُ» بفتح الشين المعجمة ، وإسكان الراء والجيم : هى مَسيلُ الماء .

● ويعلمنا الدين الحنيف : أن من تصدق بعدل تمرة من كسبٍ طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يُربيهَا لصاحبها ، كما يُربى أحدُكم فَلُوَّهُ حتى تكون مثل الجبلِ[٢٣] .

و «الفَلُوُّ» بفتح الفاء ، وضم اللام ، وتشديد الواو ، ويقال أيضاً :

---

(٢٢) ماخوذ عن حديث بنفس النص عن رسول الله ﷺ رواه مسلم فى صحيحه .

(٢٣) وذلك يؤكد الحديث الشريف «**إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب**» أخرجه مسلم عن أبى هريرة ـ وأخرج رواية أبى هريرة أيضاً الترمذى وأحمد بن حنبل من حديث عدى ابن ثابت ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة مرفوعاً ، بلفظ الترجمة ، وأخرجه من هذا الطريق أيضاً الدارمى فى مسنده . وأخرجه الترمذى أيضاً من حديث مهاجر بن مسمار ، عن عامر بن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه مرفوعاً ، بلفظ : «**إن الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود**» وقال : غريب . وأورده السيوطى فى جامعه الصغير ، وقال المناوى : وحسنه ، وأورده فى الجامع الكبير وعزاه لأحمد بن حنبل ومسلم والترمذى . راجع الحديث فى (صحيح مسلم الحديث ٦٥ من كتاب الزكاة ، وسنن الترمذى ، كتاب التفسير سورة ٢ ، وكتاب الأدب الباب ٤١ ، ومسند الدارمى الباب ٩ من كتاب الرقاق ، ومسند أحمد بن حنبل ٣٢٨/٢ ، والمقاصد الحسنة ٢٣١ ، والجامع الصغير للسيوطى ، حديث ١٧٤٨ ، والجامع الكبير ١٥٥٤/٢/١ حديث ٤٨٧٢ ، ٤٨٧٣ ، وتمييز الطيب من الخبيث ٢٩٨ ، وأسنى المطالب ٣٠٩) .

بكسر الفاء ، وإسكان اللام وتخفيف الواو : وهو المُهْرُ .

● ويُشَبهُ البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق ، فلا ينفق إلا سبغت ، أوفرت على جلدهِ حتى تخفى بنانَهُ ، وتعفو أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقةٍ مكانها ، فهو يوسِّعُها فلا تتسع .

و «الجنة» هى الدرعُ ، ومعناه : أن المنفق كلما أنفق سبغت ، وطالت حتى تجرَ وراءهُ ، وتخفى أَثر مشيهِ وخطواتهِ .

● وكان الرسول الكريم ﷺ ماسُئِلَ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، ويقال أن رجلاً جاءه فأعطاه غنماً بين جبلين فرجعَ إلى قومهِ فقال : ياقوم أَسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، وإن كان الرجل ليسلمُ مايريدُ إلا الدُّنيا ، فما يلبث إلا يسير حتى يكُونَ الإسلام أحبَّ إليه من الدُّنيا وما عليها .

ويحكى أن النبى ﷺ قسم قسماً ، فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يارسول الله لغير هؤلاء كانوا أحقَّ به منهم ؟ قال النبى ﷺ : **«إنهم خبرونى أن يسألونى بالفحش أو يبخلونى ، ولستُ بباخلٍ»** .

● ويعلمنا النبى ﷺ أن نتقى الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وأن نتقى الشُّحَّ ، فإن الشحَ أهلك من كان قبلنا ، وحملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم .

● وقال الله تعالى : ﴿**وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى * وما يغنى عنه ماله إذا تردى**﴾[٢٤] .

---

(٢٤) الليل/٨ ـ ١١ .

● وقال تعالى : ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[25] .

● وقال تعالى : ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون﴾[26] .

● ﴿أولئك لهم رزق معلوم * فواكه وهم مكرمون﴾[27] .

● وقال : ﴿أولئك فى جنات مكرمون﴾[28] .

● وقال : ﴿ياليت قومى يعلمون * بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾[29] .

● وضيف إبراهيم كانوا مكرمين : ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾[30] .

● ووصف القرآن كريم : ﴿إنه لقرآن كريم * فى كتاب مكنون﴾[31] .

● وعلينا أن نسدى القول الكريم للوالدين : ﴿فلا تقل لهما أُفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾[32] .

● وفى الجنة : ﴿بأيدى صفرة * كرام بررة﴾[33] .

● وقال تعالى : ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾[34] .

● وقال عز وجل : ﴿هم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق

---

(25) التغابن/16 .
(26) الأنبياء/26 .
(27) الصافات/41 ، 42 .
(28) المعارج/35 .
(29) يس/26 ، 27 .
(30) الذاريات/24 .
(31) الواقعة/77 ، 78 .
(32) الإسراء/23 .
(33) عبس/15 ، 16 .
(34) العلق/3 .

كريم﴾[٣٥] .

- ﴿ومن كفر فإن ربى غنى كريم﴾[٣٦] .
- وقال تعالى : ﴿نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾[٣٧] .
- وقال سبحانه : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[٣٨] .
- وقال : ﴿تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام﴾[٣٩] .
- وقال عز وجل : ﴿يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾[٤٠] .
- وقال سبحانه : ﴿فبشره بمغفرةٍ وأجر كريم﴾[٤١] .
- وقال الله تعالى : ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم﴾[٤٢] .

اعلم أن المال نعمة من الله تعالى على عباده، وشكرها يكون بالإنفاق منه فى الوجوه المشروعة، مع عدم البخل ، ومع البعدِ عن الإسراف ، قال تعالى : ﴿ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك، ولا تبسطها كل البسطِ ، فتقعد ملوماً محسوراً﴾[٤٣] .

وفى هذا الموضع بشارة للأسخياء الكرماء الذين ينفقون المال ابتغاء مرضاة الله تعالى، وطلباً لثوابه، فإن الملائكة تدعو لهم فى صباح كل يوم بأن يخلف الله عليهم ماأنفقوه ، ويزيدهم فيه.. أما أهل التقتير والشح والبخل فإن الملائكة ـ والعياذ بالله ـ تدعو عليهم كل صباح بتلف المال جزاء فعلهم .

---

(٣٥) الأنفال/٤ .
(٣٦) النمل/٤٠ .
(٣٧) الأحزاب/٢١ .
(٣٨) الحجرات/١٣ .
(٣٩) الرحمن/٧٨ .
(٤٠) الانفطار/٦ .
(٤١) يس/١١ .
(٤٢) آل عمران/٩٢ .
(٤٣) الإسراء/٢٩ .

البـــاب الثـــانى

الكرم هو الإيمان والطاعة

قال ابن المبرد جمال الدين :

● اعلم ـ غفر الله لك ولنا ـ أن الكرمَ هو الطاعة المطلقة لله ، وتدبـر صنع الصانع الأعظم ، وشكره على نعمائه ، والرضاء بقضائه وقدره ، والتوكل عليه سبحانه(*) .

ومن معانى الكرم تعليق كل فعلٍ مستقبل بمشيئته سبحانه وتعالى ، والوفاء بعهد الله ، ويدخل فى ضمنِه احترام اليمين متى حلف . ودوام ذكر الخالق بالقلب واللسان .

● وأداء الصلاة المفروضة .

(*) فى هذا الباب نلاحظ أن ابن المبرد جمال الدين عمق معنى الكرم فخرج به عن مراده التقليدى ، وجعل الإنسان الذى يسخو ويبذل ويعطى لوجه الله بكرمٍ مَكلل بحسن نية ، وصدق طوية ينصرف بكرمه إلى أخلاقيات وآداب بها يصل الإنسان إلى الإيمان الكامل ومن هذه الاخلاقيات والتى يكون بها الإنسان على درجة عليا من الكرم الحقيقى : الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبما أنزل من توجيهات ربانية سامية واوامر بها يضمن المرء سعادته الدنيوية وسعادته الآخروية ، والطاعة المطلقة لله سبحانه ، وتدبر صنعه تعالى ، وشكر الله على نعمائهِ ، والرضا الكامل بقضاء الله ، والتوكل عليه عز وجل ، وتعليق كل فعلٍ مستقبل بمشيئته هو سبحانه وتعالى ، والوفاء بعهده تعالى ، ويدخل فى ضمنه احترام اليمين متى حلف ، ودوام ذكر الله بالقلبِ واللسان ، وأداء الصلوات المفروضة كاملة فى أوقاتِها ، وحج البيت لمن استطاع سبيلاً ، ودعا الله بين الخوف والأمل ، والتوبة إلى الله العظيم والتماس مغفرته ، وحب الله ـ الحب الخالص لله وحده .

وأن يكون حبه لله عز وجل فوق كل شىء ، والكريم أو المؤمن الحقيقى هو المرء الذى لا يعرف اليأس ، فلا ييأس من رحمة الله تعالى ، ويرفض تحت أى حالٍ من الأحوال مجاراة أهل السفه والشرك فى سفههم وسبابهم ، لذا يتجنب مجالسة الخائضين فى آيات الله ... إلخ .. إذن الإنسان الكريم بهذه المعانى القيمة الجليلة التى هى جوهر وروح الإسلام ، ديننا الخالد ، الصالح لكل زمان ومكان ، الإنسان الكريم هو الذى يعرف واجباته نحو الله لأنه أساس الأخلاق فى الإسلام .

هذه سمات الكريم والكرم فى الإسلام ، والبخيل أو البخل ضد ذلك . لذلك . ذكر المصنف معانى الكرم أو سمات من يتحلى بالكرم الإسلامى الحقيقى وتجاهل معانى البخل أو سمات البخيل والتى لا تخفى على فطنة القارىء الأريب ـ والله أعلم .

- وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً .
- ودعاء الله بين الخوف والأمل .
- والتوبة إلى الله والتماس مغفرته .
- وحب الله ـ الحب الخالص لله وحده .
- وأن يكون حبه فوق كل شيء .

ـ والكرم أن تؤمن بالله وبما أنزل فى كتابه المجيد من آداب وأخلاق : قال تعالى : ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال .....**﴾[1] .

وقال رسول الله ﷺ : «**بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان**»[2] .

- والكرم هو الطاعة المطلقة لله تعالى قال تعالى : ﴿**ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً**﴾[3] .
- وقال المبعوث رحمة للعالمين رسول الله ﷺ : «**إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرّم أشياء فلا**

---

(١) البقرة/١٧٧ .

(٢) الحديث رواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وجاء فى الصحيحين : صحيح مسلم ، والبخارى ـ ذكره النووى فى أذكاره ص ٤٨٥ رقم ١٠٨٦ ، وفى ص ٤٥٨ من نفس الكتاب رقم ١٠٠٢ .

(٣) النساء/٦٦

تنهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها »[٤] .

والكريم من تدبر صنع الله تعالى وفى ذلك قال رب العزة : ﴿**وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون**﴾[٥] .

فالله وحده هو المنعم القائل : ﴿**وما بكم من نعمةٍ فمن الله**﴾[٦] .

● والكرماء هم من الصابرين فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿**ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون**﴾[٧] .

● والكريمُ هو من توكل على الله قال الحق عز وجل : ﴿**إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾[٨] .

● والكريم هو الذى يُعلق كل فعلٍ مستقبل بمشيئة الله سبحانه وتعالى وفى هذا يقول الله : ﴿**ولا تقولن لشىءٍ إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله**﴾[٩] .

---

(٤) جاء الحديث عن أبى ثعلبة الخشنى جرثوم بن ناشر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ ـ وهو حديث حسن رواه الدارقطنى وغيره .

(٥) الذاريات/ ٢٠ ـ ٢١ .

(٦) النحل/٥٣ .

(٧) البقرة/١٥٥ ـ ١٥٧ .

(٨) آل عمران/١٦٠ .

(٩) الكهف/٢٣ .

● والكرماءُ هم أهل الوفاء بالعهدِ فقال المولى سبحانه : ﴿**ومِنْهُم من عاهدَ الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضلِهِ بخلوا به وتولوا وهم مُعْرِضون فأعقبهم نفاقاً فى قلوبِهم إلى يوم يلقونه ، بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون**﴾[١٠] .

● والكريم من أهل احترام اليمين متى حَلَفَ قال الخالق الأعظم : ﴿**واحفظوا أيمانكم**﴾[١١] .

● ويُكْثِرُ من ذكرِ الله ، قال الله سبحانه : ﴿**يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً**﴾[١٢] .

● ويسبح ويكبره سبحانه الذى قال : ﴿**يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً . وسبحوه بكرة وأصيلاً**﴾[١٣] .

● وأداء الصلاة المفروضة لوقتها من خصيات المؤمن الكريم : قال الله تعالى : ﴿**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً**﴾[١٤] .

● وقال صاحب الدعوة الغراء والسنة الحنيفة الورقاء ﷺ :

«**إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عملهِ صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضته شىء ، قال الرب عز وجل : انظروا هل لعبدى**

---

(١٠) التوبة/٧٥ ـ ٧٧ .
(١١) المائدة/٨٩ .
(١٢) الأحزاب/٤١ .
(١٣) الأحزاب/٤١ ـ ٤٢ .
(١٤) النساء/١٠٣ .

من تطوّع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله على ذلك »(١٥)

● والكريم من حج البيت لوجه الله إيماناً واحتساباً على الأقل مرة فى العمر لمن استطاع لذلك سبيلاً : قال تعالى : ﴿**إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً ، وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين**﴾(١٦) .

● والكريم يدعو الله تعالى بين الخوف والأمل قال الكريم الحليم رب العرش العظيم : ﴿**قل ما يعبئوا بكم ربى لولا دعاؤكم**﴾(١٧) .

● والكريمُ يدعو الله تائباً إليه ، ملتمساً مغفرته قال تعالى : ﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾(١٨) .

● والكرماء لا يخافون فى حبِ الله لومةَ لائم قال تعالى : ﴿**فسوف يأتى الله بقومٍ يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**﴾(١٩) .

● وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله دلنى على عمل إذا

---

(١٥) رواه الترمذى وكذلك أبو داوود والنسائى وابن ماجه فى سننهم ، ورواه أحمد أيضاً فى مسنده بنفس الألفاظ .

(١٦) آل عمران/٩٦ ـ ٩٧.

(١٧) الفرقان/٧٧ .

(١٨) النور/٣١.

(١٩) المائدة/٥٤ .

عملته أحبنى الناس، فقال : «**ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»[٢٠] .

● والكرماء يحبون أن يكون حب الله فوق كل شئ قال تعالى :

﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين

---

(٢٠) حديث : «**ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس**» .
أخرجه ابن ماجه عن سهل بن سعد . وأخرجه أيضاً الطبرانى فى الكبير ، وأبو نعيم فى الحلية وابن حبان فى روضة العقلاء ، والحاكم فى المستدرك وصححه ، والترمذى وحسنه ، والبيهقى فى الشعب ، وكلهم من حديث خالد بن عمرو القرشى ، عن الثورى عن أبى حازم ، عن سهل بن سعد الساعدى قال : «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ، فقال : **ازهد ... الحديث**» . قال الحاكم : «صحيح الإسناد» ، وقال السخاوى : «ليس كذلك ، فخالد مجمع على تركه ، بل نسب إلى الوضع» ، وقال الذهبى : «فيه خالد بن عمرو وضاع، ومحمد بن كثير المصيص ضعفه أحمد» ، وقال المنذرى بعد عزوه لابن ماجه : «وقد حسن بعض مشايخنا إسناده ، وفيه بعد لأنه من رواية خالد القرشى وقد ترك واتهم ، ولكن على هذا الحديث لامعة من أنوار النبوة ، ولا يمنع كونه رواه الضعفاء أن يكون النبى ﷺ قاله» . وعقب عليه البيهقى بقوله : «خالد بن عمرو ضعيف» وأخرجه أبو نعيم فى الحلية أيضاً من حديث منصور بن المعتمر ، عن مجاهد ، عن أنس رفعه ، ورجاله ثقات ، لكن فى سماع مجاهد عن أنس نظر ، وقد رواه الأثبات فلم يجاوز مجاهد ــ كما قال السيوطى فى الجامع الكبير ــ وقد حسن الحديث النووى والعراقى . وذكر الحديث السيوطى فى «الدرر المنتثرة» رقم ٧٨ (ص ٨٨) وأخرجه أيضاً القضاعى فى الشهاب عن أبى هريرة ، وأخرجه السيوطى فى جامعه الصغير وصححه من حديث سهل بن سعد الساعدى . وأخرجه أيضاً السيوطى فى الجامع الكبير وعزاه لابن ماجه ، والطبرانى فى الكبير ، والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى شعب الإيمان . راجع الحديث فى : (مسند الشهاب القضاعى ١١٢ ، والمقاصد الحسنة للسخاوى ٥٢ حديث ٩٦٠ ، والجامع الكبير للسيوطى ٩٤٦/١/١ ، حديث ٣٠٣٤ ، ٣٠٣٥ ، واسباب ورود الحديث لأبى حمزة الحسينى ٢٠٨/١ ، وفيض القدير ٤٨٠/١ ، وسنن ابن ماجه ٤١٠٢ ، وتمييز الطيب من الخبيث ١١٨ ، وأسنى المطالب ١٦٩ ، وحلية الأولياء ٢٥٣/٣ ، ١٣٦/٧ ، ٤١/٨ ، والمستدرك للحاكم ٣١٣/٤) .

راجع رواية ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة .

آمنوا أشد حباً لله»(٢١) .

● والكريمُ لا ييأس من رحمة الله قال سبحانه : ﴿**ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾(٢٢) .

● والكريم لا يرد الحسنة بالسيئة حتى إذا سبه المشركين قال تعالى : ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم**﴾(٢٣) .

● والكريمُ مَنْ تجنب مجالسة الخائضين فى آيات الله قال تعالى : ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، وإنا ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين**﴾(٢٤) .

● والكرماء لا يكترثون بأقوال المتقولين ، ولا يكثرون من الحلِف بالله : قال رب العرش المجيد : ﴿**ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ، أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ، والله سميع عليم**﴾(٢٥) .

● والكريم من الذاكرين قال تعالى : ﴿**واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا**﴾(٢٦) .

● والصدقة تطهير ونماء : ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم**

---

(٢١) البقرة/١٦٥ .
(٢٢) يوسف/٨٧ .
(٢٣) الأنعام/١٠٨ .
(٢٤) الأنعام/٦٨ .
(٢٥) البقرة/٢٢٤ .
(٢٦) الكهف/٢٤ .

بها وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾[٢٧] .

•وقال رسول الله ﷺ : «قال الله : أنفق يا ابن آدم ، أنفق عليك»[٢٨] .

•والصدقة الجارية هى العمل النافع الكريم : قال رسول الله ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» .

•ويكره الله الإسراف قال تعالى : ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾[٣٠] .

ويحب التعاون : قال تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[٣١] .

وقال تعالى : ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾[٣٢] .

وقال سبحانه : ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾[٣٣] .

---

(٢٧) التوبة/١٠٣ .

(٢٨) رواه البخارى وكذلك مسلم ـ وراجع ماذكرناه عن هذا الحديث وتخريجه فى الباب السابق .

(٢٩) حديث صحيح رواه مسلم وهو مشهور .

(٣٠) الإسراء/٢٦ ، ٢٧ .

(٣١) المائدة/٢ .

(٣٢) العصر/٣ .

(٣٣) البلد/١٧ .

● وقال النبى ﷺ : «**الدين النصيحة**»[٣٤] وطهارة الكسب من شيم الكرماء قال الله تعالى : ﴿**وآتو اليتامى أموالهم ولا تتبدّلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم**﴾[٣٥] وقال الله عنهم : ﴿**والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**﴾[٣٦] .

● وقال تعالى رب السموات والأرض : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**﴾[٣٧] .

---

(٣٤) حديث : «**الدين النصيحةُ . قالوا : لمن ؟ قال : لله ولرسولِهِ ولأئمة المسلمين وعامتهم**» ـ أخرجه مسلم عن تميم الدارى وأخرجه القضاعى أيضاً فى الشهاب عن تميم الدارى ، وأورده المناوى فى الجامع الأزهر وقال : «قال أحمد عن عمرو بن دينار : أخبرنى من سمع من ابن عباس ، ومقتضاه أن فيه انقطاعاً بين ابن عباس ، وعمرو ومع ذلك فيه عبد الرحمن بن ثابت ، ضعفه أحمد وقال : أحاديثه مناكير ، ورواه ، أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .وأورده السيوطى فى الكبير وعزاه لمسلم عن تميم الدارى ، والبزار عن ابن عمر ، والترمذى عن أبى هريرة .

راجع الحديث فى : (صحيح البخارى الباب ٤٢ من كتاب الإيمان وصحيح مسلم حديث ٩٥ من كتاب الإيمان ، وسنن أبى داوود الباب ٥٩ من كتاب الأدب ، وسنن الترمذى الباب ١٧ من كتاب البر ، وسنن النسائى الباب ٣١ ، ٤١ من كتاب البيعة ، وسنن الدارمى الباب ٤١ من كتاب الرقاق ، ومسند أحمد بن حنبل ٣٥١/١ ، ٢٩٧/٢ ، ١٠٢/٤ ، ١٠٣ ، والجامع الصغير ٤٣٠٢ ، والشهاب ٤ ، وفيض القدير ٥٥٥/٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١٤٨/٤ ، وكشف الخفاء ١٣٢٤ ، والمقاصد الحسنة ٥٠٠ ، وأسنى المطالب ٦٨٤ ، وتاريخ بغداد ، ٢٠٧/١٤ ، وتمييز الطيب من الخبيث ٦٣٢ ، والجامع الأزهر جزء ١ ، ورقة ٢٢٣ ب ، والجامع الكبير ٢٣١/١/٢ حديث ١٠٧٣٧ ، ١٠٧٣٨) .

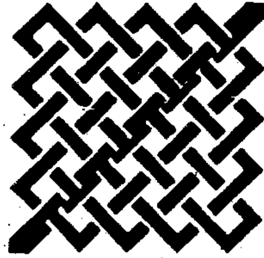
(٣٥) النساء/٢ .

(٣٦) المعارج/٢٤ ، ٢٥

(٣٧) آل عمران/١٠٣ .

● وقال سبحانه : ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾[٣٨] .

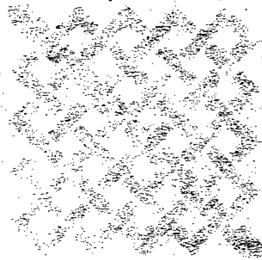
● وقال رسول الله ﷺ : «لا تحاسدوا ، ولا تنجاشوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا ، عباد الله ، إخوانا ، المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره ، التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدرِهِ ثلاث مرّات ـ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه»[٣٩] .



---

(٣٨) الحجرات/١٠ .

(٣٩) حديث صحيح رواه مسلم وغيره بنصه .



الباب الثالث

أشتات لغوية

البخلُ فى اللغةِ

بخل - (البُخْل) و (البَخْلِ) بالفتح و (البَخَل) بفتحتين كُلُّه بمعنىً وقد (بَخِل) بكذا من باب فهم وطَرِبَ و (بُخْلاً) أيضاً بالضم فهو (باخل) و (بخيل) صيغة[1] مبالغة على وزن (فعيل) و (بَخّله) نسبة إلى البخل .

ويقال : «الولدُ (مَبْخَلَةٌ) مجبنة»[2] وهو من الأثر المشهور عن النبى

---

(١) عند قصد المبالغة أو التكثير تُحوَّل صيغة اسم الفاعل إلى صيغ سماعية على خمسة أوزان : فعَّال مثل : مَّناع - قوَّام - صوَّام - توَّاق - بخَّال، مِفعال مثل : مطعان - مهذار - مفراج - معدام - مبخال، فَعُول مثل : غَفُور - شَكُور - حَقود - صَبُور - بخول، فَعِيل مثل: عَليم - قَدير - سَميع - خبير - بخيل فعِل مثل: حذِر - قَلِق - يقظِ - فهم - بخل.

وهذه الصيغ تدل على معنى اسم الفاعلِ مع إفادة المبالغة . ولذا فهى تسمى صيغ المبالغة . ولاتبنى الا من الفعل الثلاثى . فمثلاً نقول عن شخص إنه حاقد ، فإذا كان كثير الحقد قلنا إنه حقود . كذلك تقول عن الجندى إنه طاعن ، فإذا كان كثير الطعن قلنا إنه مطعان .

والأصل أن صِيغة «فعَّال» من صيَغ المبالغة ، إلا أنها تستعمل أيضاً بمعنى صاحب الحدث وعلى الأخص الحرف فنقول نجَّار وخبَّاز ونَّساخ وطحان . ويعرف أهل اللغة والنحو عمل صيغ المبالغة كمشتق مثله فى ذلك مثل : (اسم الفاعل واسم المفعول ، والصفة المشبهة باسم الفاعل ، واسم التفضيل ، واسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الآلة) . ويعرفونه على أنه يعمل عمل اسم الفاعل بنفس شروطه . مثل : طمأنتُ الرجلَ القَلق بالُه (بالُ : فاعل لصيغة المبالغة «القلق» لأنها محلاة بأل) . إن الله سميع الدعاء

الدعاء : مفعول به لصيغة المبالغة «سميع» لأنها مجردة من (الـ)ودلت على الحال والاستقبال واعتمدت على مبتدأ . [عن ملخص قواعد اللغة العربية / للأستاذ : فؤاد نعمة ط ٩ ص ٤٢ ، ٤٣] .

(٢) حديث : «الولدُ مَجْبنَةٌ مبخلةٌ» أخرجه ابن ماجه من حديث يوسف بن عبد الله ابن سلام. قال : جاء الحسن والحسين يستبقان إلى النبى ﷺ ، فضمهما إليه ،وذكره. =

ﷺ . و (البخّال) الشديد البخل .

البخل فى القرآن الكريم

وفى سورة ال عمران : ﴿**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضلهِ هو خيراً لهم .....**﴾[3] .

وفى سورة النساء ﴿**الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله**﴾[4] .

وفى سورة الحديد : ﴿**الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخلِ ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد**﴾[5] .

=وأخرجه العسكرى ، والحاكم عن الأسود بن خلف ان النبى ﷺ أخذ حسناً ، فقبله ، ثم أقبل عليهم ،فقال : «إن الولد مجبنة مبخلة» وأحسبه قال مجهلة ، وأخرجه العسكرى فقط عن أشعث بن قيس وفيه اختلاف فى اللفظ . وأخرجه أبو يعلى ، والبزار عن أبى سعيد ، بلفظ : «مبخلة ، مجبنة ، محزنة» ، وأخرجه القضاعى فى الشهاب عن يعلى العامرى ، بلفظ ابن ماجه . وأورده المناوى فى الجامع الازهر ، وعزاه الطبرانى فى الكبير عن خولة بنت حكيم ، وأحمد بن حنبل والطبرانى عن أبى يعلى ، وأورده السيوطى فى الجامع الصغير ، وضعفه لضعف عطيه العوفى ، وفى الكبير عزاه لأحمد فى المسند ، وابن سعد ، والطبرانى عن يعلى بن مرة العامرى ، راجع الحديث فى : الجامع الصغير ٩٦٨٩ ، والجامع الكبير ٧٨٤/١/٢ حديث ١٢٠٤٠ ، والجامع الأزهر جزء ٣ ، ورقة ٨٦ ب ، ومجمع الزوائد ٥٤/١٠ ، والشهاب ٦ ، وفيض القدير ٣٧٨/٦ ، والبداية والنهاية ٢٠٠/٥ ، والمقاصد الحسنة ١٢٦٩ ، وكشف الخفاء ٢٩١٦ ، وأسنى المطالب ١٦٦١ ، وتمييز الطيب من الخبيث ١٥٧٣ ، وسنن ابن ماجه الباب ٣ من كتاب الأدب ، ومسند أحمد ابن حنبل ١٧٢/٤ . كذلك ذكره السيوطى فى كتاب : (الدّررُ المُنتثرة فى الأحاديث المشتهرة) حديث ٤٣٥ (ص ٤١٥) .

(٣) آل عمران / ١٨٠ .

(٤) النساء /٣٧ .

(٥) الحديد /٢٤ .

وفى سورة النساء : ﴿ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم من فضلِهِ﴾(٦) .

الكرمُ فى اللغةِ (٧)

(الكَرَم)(٨) بفتحتين ضد اللؤم وقد (كَرُم) بالضم (كَرَما) فهو (كَرِيم) على وزن (فعيل) صيغة مبالغة ـ وقَوْمٌ (كِرامٌ) و (كُرَمَاءُ)

---

(٦) النساء/٣٧ .

(٧) والكرم ضد البخل ـ وفى القرآن الكريم وردت كلمة (البخل) بأكثر من تصريف وفى أكثر من موضع :

(بخل) : ﴿وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ,...﴾ [٨، ٩، ١٠/ الليل] .

(بخلوا) : ﴿سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ...﴾ [١٨٠/ آل عمران] ﴿فلما آتاهم من فضلِه بخلوا به وتولوا وهم معرضون ...﴾ [٧٦/ التوبة] .

(تبخلوا) : ﴿إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم﴾ [٣٧/ محمد] .

(يبخل) : ﴿تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل﴾ [٣٨/ محمد] . ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسهِ والله الغنى وأنتم الفقراء﴾ [٣٨/ محمد] .

(يبخلون) : ﴿ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضلِهِ هو خيرا لهم ..﴾ [١٨٠/آل عمران] . ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ..﴾ [٣٧/ النساء] . ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد ..﴾ [٢٤/ الحديد] .

(البُخل) : ﴿ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ماآتاهم الله من فضلهِ﴾ . ﴿ويأمرون الناس بالبخل ومن يتولّ فإن الله هو الغنى الحميد﴾ .

أما كلمة (كرم) فجاءت فى القرآن الكريم : (٤٨ مرة) بتصريفات مختلفة : (كرمتَ) و(كرَّمنا) و(أكرمن) و(أكرمهُ) و(تكرمون) و(أكرِمى)، و(كريم) و(كريماً) و(كِرام) و(كراماً) و(الأكرم) و(أكرمكم) و(الإكرام) و(مكرمة)، و(مُكرِم) و(مكرمون) و(مكرمين) .

(٨) نقول : كرم فلانٌ (جاد) ، مضارعه : يكرُم ، ومصدره : كرِما وكرامة ـ فهو كَرِم وكريم وهم كِرام وكرماء .

على وزن (فِعالٌ) و (فُعَلاءُ) ونسوةٌ (كَرائِم) ورَجُلٌ (كَرَمٌ) أيضاً . وكذا المؤنث والجمع لأنه مصدر . و (الكُرَام) بالضم الكريم فإذا أفرط فى الكرم قيل (كُرَّام) بالضم والتشديد . و (الكَرِيم) الصفُوح و (أكْرَمَه) يُكْرِمه . ويقال فى التعجب : ماأكْرَمَهُ وهو شاذ لا يَطرد فى الرُّباعى قال الأخفش[٩] : وقرأ بَعْضُهم **﴿ومن يهن الله فما لَهُ منْ مُكْرَم﴾**[١٠] بفتح الراء أى من إكْرَام وهو مصدر كالمُخْرَج والمُدْخَل . و (الكَرْم) شجر العنب[١١] . والكرم أيضاً القلادة يقال : رأيتُ فى عُنُقِها كَرْماً حسناً مِنْ لؤلؤ .

و (المَكْرُمَة) واحدة (المَكَارِم) . و(المَكْرُم) المَكْرُمة عند الكسائى[١٢] . وعند الفراء هو جْمعُ مَكْرمة . و (الأُكْرُومة) من الكرم كالأعجوبة من العجبِ . (والتكَرُّم) تكَلُّف الكرم .

وقال الشاعر :

تكَرَّمْ لتعتادَ الجميل فَلَنْ تَرى ... أخا كَرَم إلا بأنْ يتكرما

---

(٩) الأخفش فى اللغة هو ضعيف البصر أو ضيق العينين أو هو الذى يبصر بالليل دون النهار مثله مثل الخفاش ، الأخفش لقب اشتهر به ثلاثة من أعلام النحاة العرب يميزون بالأخفش الأكبر ، والأوسط ، والأصغر ، فالأخفش الأكبر ، عبد الحميد بن عبد المجيد كان شيخ النحوى أبى عبيدة توفى ١٧٧ هـ (٧٩٣ م) ؛ والأوسط هو سعيد بن مسعده أخذ اللغة عن سيبويه وينسب إليه زيادة بحور الشعر العربى بحر «الخبب» كما ينسب إليه تفسير لمعانى القرآن ، توفى ٢١٥ هـ (٨٣٠ م) ، والأخفش الأصغر ، على بن سليمان من أهل بغداد عاش طويلاً بمصر ، له شرح كتاب سيبويه ، توفى ٣١٥ هـ (٩٢٧ م) .

(١٠) **﴿ومن يهن الله فماله من مكرم ...﴾** آية ١٨ من سورة الحج .

(١١) كَرْم (مفرد) وهو العنب جمعها (كروم) .

(١٢) الكسائى هو معلم الرشيد وأحد مشايخ الكوفة العراقية البارزين ، إمام فى اللغة والنحو والصرف . والفراء أيضاً إمام جليل من علماء اللغة الرواد الذين جمعوها فى أصولها فكان لهم اليد الطولى فى هذا المجال .

ونقول (أَكْرَمَ) الرجلُ أتى بأولادٍ كرام . و(استكرم) استحدث عِلْقاً كريماً . و(التكريم) و(الإكرام) بمعنىً والاسم منه (الكَرامة) . ويقال : حَمَلَ إليه الكرامة وهو مِثلُ النُّزُلَ . وسُئِلَ عنه الجوهرى صاحب (الصحاح)[13] فلم يُعْرَف .

البذل فى اللغة

(بَذَلَ) الشىء أعطاه وجاد به وبابه نصر .

و(البِذْلة) و(المبذَلة) بكسر أولهما مايمتهن من الثياب .

و(ابتذالُ) الثوب وغيره امتهانه .

و(التبذُّل) هو ترك التصاون[14] .

الشُّح فى اللغة

(الشُّح)[15] هو البخل مع حِرْص وقد (شَححت) بالكسرِ تشحَّ و(شَحَحْت) بالفتح تشُحَّ وتشِحّ بالضم والكسر وقوم (أشحة) جمع

---

(١٣) الجوهرى هو رائد مدرسة القافية فى مسيرة معاجمنا العربية بما أسهم بمعجمه «الصحاح» والجوهرى هو إسماعيل بن حماد الجوهرى . ولد فى بلدة فاراب ، وينسب إليها أحياناً فيقال الفارابى ، وكان إماماً فى اللغة والأدب ، دخل العراق فقرأ العربية على أبى على الفارس والسيرافى ، واختلط بكثير من القبائل العربية عند سفره إلى الحجاز فقد طوف ببلاد ربيعة مضر ، ثم أقام بنيسابور ملازماً للتدريس والتأليف حتى توفى بها عام ٣٩٨ هـ .

وصنف الجوهرى كتباً كثيرة ، فصنف كتابا فى العروض ، ومقدمة ضافية فى النحو العربى ، ثم معجمه الشهير واسمه بالكامل «تاج اللغة وصحّاح العربية» .

(١٤) فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لم أستدل فيه على آية واحدة فيها كلمة (بذل) وذلك قدر علمى .

(١٥) قال تعالى : ﴿**والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح**﴾ [١٢٨/ النساء] . وقال : ﴿**ومن يوقِ شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ [٩/ الحشر] . وقال : ﴿**ومن**=

والمتداول رجُلُ (شحيح) وقوم (شحاح) بالكسر . و(تشاحّ) الرجلان على الأمر لا يريدان أن يفوتهُما .

وجاء فى القرآن الكريم : ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾[١٦] .

وقال تعالى : ﴿**والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح**﴾[١٧] .

وقال : ﴿**أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك**﴾[١٨] .

وقال تعالى : ﴿**فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير**﴾[١٩] .

وقال ابن المقفع[٢٠] : (عوِّد نفسك السخاء، واعلم أنه سخاآن : سخاوة نفس الرجل بما فى يديه ، وسخاوته عما فى أيدى الناس .

=**يوق شح نفسه فأولئك همْ المفلحون**﴾ [١٦/ التغابن] . وقال : ﴿**أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك**﴾ [١٩/ الاحزاب] . وقال : ﴿**فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد اشحة على الخير**﴾ [١٩/ الاحزاب] .

(١٦) الحشر/٩ والتغابن/١٦ .

(١٧) النساء/١٢٨ .

(١٨) الأحزاب/١٩ .

(١٩) الأحزاب/١٩ .

(٢٠) كان عبد الله بن المقفع من أبناء الفرس الذين نشأوا بين العرب ، نشأ بالبصرة العراقية ، وكان أبوه مجوسياً ، وبقى ابن المقفع أكثر أيامه على دين المجوسية ، ثم أسلم فى آخر عمره ، وتعلم صناعة الكتابة ، وبرع ، وكتب للكثير من الأمراء ، واشتهر ببلاغته وسهولة أسلوبه ، ومعانيه فيها عمق وتأمل ، وكان يميل إلى ضرب الأمثال ، وهو من كبار المترجمين والمؤلفين ، وقد اشتهر بكتابه : «كليلة ودمنة» وله كتابا «الأدب الكبير» و «الأدب الصغير» ومات مقتولاً سنة ١٤٢ هـ وهذا القول عن السخاء أخذناه من كتابه «الأدب الكبير» : (ص ٧٤) .

وسخاوة نفس الرجل بما فى يديه أكثرهما وأقربهما من أن تدخل فيه المفاخرة . وتركه ما فى أيدى الناس أمحض [أخلص] فى التكرُّم ، وأبرأ من الدَّنسِ وأثره .

فإن هو جمعهما فبذَلَ وعفَّ فقد استكمل الجود والكرمِ) .

● و(سخى) من (السَّخَاء) الجود وقد (سَخَا) يَسْخُو و(سَخِىَ) بالكسر (سَخَاءً) وفيهما قال عمرو بن كلثوم[٢١] :

مشـــعشعة كأنّ الحُـــص فيها إذا ما الماء خالطَهَا سخِينـــا

أى جدنا بأموالِنا . وقول من قال سخينا من السُّخونة نُصِبَ على الحال ليس بشئٍ .

قال (الرازى)[٢٢] مُعَلِقاً على ما قالَ الجوهرى فى الصحاح : أنه ذكر ضد هذا . و(سَخُوَ) الرجل من باب ظرُفَ صار (سخياً) وفلان (يَتَسَخَّى) على أصحابه أى يتكلف السخاء .

---

(٢١) عمرو بن كلثوم من فحول شعراء الجاهلية هو صاحب معلقة قبيلة تغلب المشهورة أنشدها بعد أن قَتَلَ المتغطرس (عمرو بن هند) الذى كان يحكم بلاد الحيرة وأراد إذلال الشاعر وأُمِه لما سمعه من كلام الوشاة والنمامين .

(٢٢) الرازى هو الشيخ الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى رحمه الله تعالى وهو صاحب كتاب (مختار الصحاح) وقال عنه : إنه مختصر فى علم اللغة جمعه من كتاب الصحاح للإمام العالم العلامة أبى نصر اسمعيل بن حماد الجوهرى رحمه الله تعالى ، لِما رآه أحسن أصول اللغة ترتيباً وأوفرها تهذيباً وأسهلها تناولاً وأكثرها تداولاً وسماه ، (مختار الصحاح) ، واقتصر فيه على ما لابد لكل عالم فقيه ، أو حافظ ، أو محدث، أو أديب من معرفته وحفظه : لكثرة استعماله وجريانه على الألسن مما هو الأهم فالأهم خصوصاً ألفاظ القرآن العزيز والأحاديث النبوية ، واجتنب فيه عويص اللغة وغريبها طلباً للاختصار وتسهيلاً للحفظ ... إلخ .. إلخ ...

الباب الرابع

الكرم فى الشعر العربى القديم

كان كرم العربى من وسائل سيادته :

● قال حاتم :

يقولون لى أهلكت مالك فاقتصد
وما كنت لولا ماتقولون سيدا[1]

● وقال لبيد :

وجزور أيسار دعوت لحتفها
بمغالق متشابه أجسامها
أدعو بهن لعاقر أو مطفل
بذلت لجيران الجميع لحامها
فالضيف والجار الجنيب كأنما
هبطا تبالة فحصباً أهضامها[2]

---

(١) كان أجدادنا يحيون فى بادية شحيحة بالزاد ، وحياتهم ترحال وتجوال ، فكل واحد منهم مُعرّض لأن ينفذ زاده فهو يقرى ضيفه اليوم لأنه سيضطر إلى أن يضاف فى يوم . ثم هم يكرمون لكلفهم بحسن الأحدوثة وطيب الثناء ، ولأنهم ذوو أريحية وحساسية ، تسعد نفوسهم بمساعدة المحتاج وإطعام الجائع وإغاثة الملهوف وكان المال فى نظرهم وسيلة لا غاية ، وسيلة إلى الحياة الشريفة وإلى كسب المحامد ، ولذا عاب بعضهم وصية قيس بن عاصم الذى أوصى بنيه بحفظ المال ، والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحاً . (راجع الأغانى ١٥٠/١٢ ط دار الكتب) .

والبيت من شعر حاتم بن عبد الله المعروف بحاتم الطائى ، من سادة طيئ ومن كرماء العرب المشهورين . له شعر أكثره فى الكرم ، والحث على بذل الطعام للضيف ، وذم البخل وأهله ، والبيت فى ديوان حاتم (٨) ، وفى شعراء النصرانية (١٢٠/١) .

(٢) إن كتب التاريخ والأدب حوافل بأخبار كرم كرماء العرب ، وبخل أهل البخل منهم ، ولسنا نشك فى أن كثيراً منها قد تطرق إليه الخيال والمبالغة ، ولكنها رغم مافيها من خيال ومبالغة ، صورة جديرة بالرصد لكونها صورة لأصالة الكرم فى نفوسهم وشيوعه بينهم . وفى نفس الوقت لمدى كرههم للبخل .

والأبيات للبيد بين ربيعة العامرى (٥٦٠ ـ ٦٦٢ م) أحد شعراء المعلقات المخضرمين ، =

● وقال حاتم :

وإنــى لعبد الضيـف مادام ثاوياً
وما فى إلا تلك من شيمة العبد[٣]

● يقول مضرس بن الربعى :

وإنى لأدعو الضيف بالضوء بعدما
كسا الأرض نضاحُ الجليد وجامده

لأكرمه إن الكرامـــة حقــه
ومثــلان عنـدى قـربه وتباعده

=مات بالكوفة العراقية، وهو أحد سفراء قومه إلى الملوك والعظماء، أسلم عندما وفد على النبى ﷺ مع جماعة من قبيلته ، وإن كان البعض يشككك أنه ضمن هذا الوفد- برع فى الهجاء والرثاء ووصف حيوانات الصحراء العربية ، تتردد فى شعره نغمة دينية واضحة ، وأعجب به نقاد الأدب قديماً ، ولكنهم لم يضعوه فى الطبقة الأولى ، طبقة الشعراء الفحول . يتميز شعره بإحكام البناء والصياغة وإن كانت تنقصه الحلاوة- وقد حقق أستاذنا الدكتور/ إحسان عباس ديوانه ضمن سلسلة التراث العربى التى كانت تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء فى الكويت سنة ١٩٦٢م .

- ومما يدل على أن الكرم أثير عند العرب أنه كان من بواعث الميسر عند أجوادهم وأثريائهم إذا اشتد البرد وكلب الزمان ، ليطعموا ذوى الحاجة الجزور التى تياسروا عليها .

إن لبيد يقول فى معلقته : رب جزور مما يذبح أصحاب الميسر دعوت ندمائى لنحرها بسهام الميسر المتشابهة الأجسام ، وأنا أدعو بالقداح لنحر هذه الناقة سواء أكانت عاقراً أم ذات ولد ، وأبذل لحمها للجيران جميعاً ، فالضيوف والجيران يشبعون كأنهم نزلوا بوادى تبالة الخصبة سهوله .

و (تبالة) موضع ببلاد اليمن يضرب المثل بخصبه وهى غير (تبالة) الحجاج- بلدة مشهورة من أرض تهامة فى طريق اليمن- (راجع معجم البلدان لياقوت ٢/٢٥٧) .

(٣) من مظاهر الكرم عند العرب الفرحة الشديدة بالضيف وإعزازه ، والمبالغة فى إكرامه والحفاوة به والتعهد له حتى صاروا له كالعبيد ، ولكنهم شرفوا بهذه العبودية كما يقول شاعر الكرم العربى حاتم الطائى (ديوان حاتم/٩) .

أبيت أعشيه السديف ، وإننى
بما نال حتى يترك الحى حامده[٤]

● يقول حاتم :

سلى الجائع الغرثان يا أم منذر
إذا ما أتانى بين نارى ومَجزرى
هل أبسط وجهى إنه أول القِرى
وأبذل معروفى له دون منكر[٥]

● وقال عروة بن الورد العبسى أو عتبة بن بجير :

فراشى فراش الضيف والبيتْ بيته
ولم يلهنى عنه غزال مُقنَّع
أحدثه إن الحديث من القِرى
وتعلم نفسى أنه سوف يهجع[٦]

● قال عمرو بن الأهتم :

فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحباً
فهذا مبيت صالح وصديق

---

(٤) هذه الأبيات وردت فى الحماسة (٢/٣٠٢) وفيه يفتخر الشاعر العربى بتقديمه للضيف أشهى ما يملك من طعام بعد أن أضاء الطريق للضيف فى هذه الليلة الباردة ، إنه يقدم لضيفهِ الذى أكرمه ــ وهذا حقه ــ دهن سنام البعير وهو أنفس ما فيه .

(٥) من صنوف الحفاوة بالضيف أن يتلقاه المضيف ببشرٍ وإيناس ، ويتبسط معه فى الحديث ، قالوا : تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة ، وإطالة الحديث عند المؤاكلة كما يقول حاتم فيما سبق .

ووجدت هذين البيتين فى البيان والتبيين (١/٢٣) ، وفى الحماسة (٢/٢٤٦) ، وشعراء النصرانية (٩٢١) وتنسب لعروة بن الورد الشاعر الصعلوك .

(٦) راجع ديوان عروة بن الورد (ص ٢٢) ، وشعراء النصرانية (ص ٩١٣) والحماسة ٢/٣١٤ ، والبيان والتبيين ١/ ٤ .

●ويقول أوس بن حجر فى رثاء فضالة بن قلدة :

أبا دليجــة من يوصى بأرملة[٧]

أم من لأشعث ذى هدمين طِملَال[٨]

●وقالت ابنة وثيمة عن أبيها :

الواهــبَ المــال التــلاد

لنــا ويكفينــا العظيمــة

واحمــرّ آفــاق السـماء

ولم تقــع فى الأرض ديمــه

وتعــذر الآكــال حــتى

كــان أحمدهــا الهشــيمة

لاثــلةٌ ترعــى ولا

إبــلٌ ولا بقــر مسـيمه

ألفيتــه مــأوى الأرامــل

والمدفعــة اليتيمــة[٩]

---

(٧) راجع البيان والبيين للجاحظ (٢٤/١) .

(٨) لقد سخوا على الأرامل واليتامى والبائسين والسائلين ، كما قال أوس بن حجر فى رثاء فضالة بن كلدة وهذا البيت فى ديوان أوس بن حجر (٢٣) ، وفى البيان والتبيين ١٥٩/١ . وهدم : بال ، طملال : فقير .

وواضح أن أوس جعل فضالة ملجأ الأرامل وموئل الفقراء .

(٩) هذه الأبيات جاءت فى البيان والتبيين للجاحظ ١٦١/١ ــ لقد قالت ابنة وثيمة فى رثاء أبيها وثيمة بن عثمان أنه يهب المال التليد العزيز عليه ، ويجود إذا اشتد البرد وقل المطر واشتد القحط ، ولم يجد الناس طعاماً خيراً من هشيم ، وهو فى هذا الجدب نادى الأرامل واليتامى .

● ويقول ابن ربعى فى رثاء رقيبة :

أعينى ألا فابكى رقيبة إنه
وصول لأرحام ومعطاء سائل
فأقسم لو أدركته لحميته
وإن كان لم يترك مقالاً لقائلِ[10]

وقال حاتم لزوجته :

مهلاً نوار اقلى اللوم والعذَلَا
ولا تقولى لشئ فات مافعلا
ولا تقولى لمالٍ كنت مهلكه
مهلاً وإن كنت أعطى الإنس والخَبلَا
يرى البخيلُ سبيل المال واحدة
إن الجواد يرى فى مالهِ سُبُلاً[11]

---

(١٠) جاءت الأبيات فى البيان والتبيين للجاحظ ١٨٢/١ ـ فمن أنواع كرمهم صلة الأرحام وإعطاء السؤال ، كما يقول ابن ربعى الهذلى فى رثاء رُقيبة .

(١١) من عجيب شأن العرب فى الكرم أن بعضهم كان يؤثر المحتاجين على نفسهِ وأولاده ، فقد حدثت امرأة حاتم أن سنة مجدبة أصابتهم ، وفى ليلة كان صبيتهم يتضاغون جوعاً ، فجد حاتم وزوجته فى إسكاتهم ، ثم علل زوجته بالحديث ، فعرفت أنه يسرى عنها فتناومت .

وفى آخر الليل جاءت إلى حاتم جارة تشكو إليه جوع بنيها ، فقال لها : أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم . فأقبلت الجارة تحمل اثنين ويمشى إلى جانبها أربعة ، كأنها نعامة حولها رئالها ، فقام على الفور إلى فرسه فذبحه ، ونادى فى الحى فهبوا جميعاً ، واجتمع القوم على اللحم يشوون ويأكلون ، أما حاتم فقد التفع فى ثوبهِ وجلس ناحية ينظر ، وماذاق قطعة مما ذبح !!

راجع ديوان حاتم (ص ١٩) ، والعقد الفريد ٣٣٤/١ ، وأمثال الميدانى ١٢٢/١ .
والخبل : الجن . وفى الديوان (البحر والجبلا) بدلاً من (الإنس والخبلا) .

قال الهمذانى :

وَرابعـــة ألا أحجـــل قِـــدْرنـــا

على لحِمِهـا حين الشــتاء لنشبعا[١٢]

وقالت الخنساء فى رثاء صخر :

وإن صخــراً لكافينــا وســيدنا

وإن صخراً إذا نشـــتو لنحــار[١٣]

وقال ابن أحمر العَمَرَّد :

وكم حلها من تيحان سميدع

مصافى الندى ساق بسهماء مطعم

طوِىِّ البطن متلاف إذا هبت الصبا

على الأمر غواص وفى الحى شيظم[١٤]

قالت بنت لبيد بن ربيعة العامرى :

إذا هبــت ريــاح أبى عقيــل

ذكرنــا عند هبتهــا الوليــدا

---

(١٢) قائل البيت مالك الهمذانى معدداً لمناقبه . وجدته فى الأصمعيات (٥٨) . ولاأحجل القدر : لاأخفيها فى حجلة وهى بيت العروس .

(١٣) هذا البيت من رثاء الخنساء لأخيها صخر- فى ديوان الخنساء (ص ٧٩)- والخنساء هى تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمى ، أدركت الإسلام وأسلمت ، وكان الرسول ﷺ يستنشدها ، ويعجب بشعرها ، وقد استشهد أولادها الأربعة فى حرب القادسية ، وقالت فى ذلك : «الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم» ، وكانت وفاتها بالبادية فى خلافة معاوية بن أبى سفيان .

(١٤) وجدتهما فى البيان والتبيين للجاحظ ٢٦٨/١ - والتيحان : الكثير الحركة المعرض فى كل شئ ليغنى فيه ، والسميدع : السيد الكريم ، والسهماء : السنة الشديدة المهزلة للأجسام ، وشيظم : فتى طويل جسيم طلق الوجه .

أشم الأنف أبيض عبشمياً
أعان على مروءته لبيدا[١٥]

قال الحارث بن حلزة :

لا تكْسَع الشّوْلْ بأغبارها
إنك لا تدرى من الناتِج
وأصبب لأضيافك ألبانها
فإن شر اللبن الوالج[١٦]

وقال محلم بن فراس يرثى منصوراً وهماماً ابنى المسجاح :

ومن فتى يملأ الشيزى مكللة
شحم السديف ندى الحمد مطعام[١٧]

وقال أبو قردودة يرثى ابن عمار :

---

(١٥) لقد أكثر العرب من الافتخار بالكرم ، وأكثروا من المدح به إذا ماهبت ريح الشمال لأنها لا تهب إلا فى الجدب ـ وهذه الريح التى تتحدث عنها بنت لبيد بن ربيعة العامرى مهبها من بنات نعش إلى مغرب الشمس صيفاً ، وكانوا يكرهونها لبردها وذهابها بالغيم وبالحياة والخصب فى زعمهم ، وهى عندهم الشآمية ، وكانوا يمدحون بالكرم والإنفاق إذا هبت هذه الريح ـ وهى غير ريح الصبا التى تهب من المشرق إلى المغرب ، وكانوا يحبونها ، لرقتها ، ولأنها تجىء بالسحاب والمطر والرى والخصب .

بلوغ الأرب للألوسى (١/٩٣ ، ٣/٣٧٣) ، ونهاية الأرب (١/٩٧) .

(١٦) كان العرب يقدمون اللبن كقرى للضيف . قال الحارث بن حلزة : لا تترك فى ضروع النوق بقايا لبن ، وصب لضيفانك ألبانها ، فإن شر اللبن الذى يدخر فى البيت ـ وجدتهما فى البيان والتبيين للجاحظ ٣/١٨٤ ـ والأغبار : بقايا اللبن ، والشول : النوق ، الوالج : المدخر فى البيت .

(١٧) كان العرب يقدمون اللحم ، ويفخرون بتقديم شحم السنام ، والبيت لمحلم بن فراس يرثى منصوراً وهماماً ابنى المسجاح . (راجع البيان والتبيين للجاحظ ٢/٢١٥) .

ياجفنــة كازاء الحوض قد هدموا

ومنطقاً مثل وسى اليمنـة الحبـرة[18]

- **وقال أمية بن أبى الصلت فى مدح عبد الله بن جدعان :**

له داع بمكـــة مشـــمعلٌ

وآخـر فـوق دارتــه ينــادى

إلى رُدُحٍ من الشـــيزى عليها

لبـاب البر يلبـك بالشــهادِ[19]

وصور الأعشى جفنة المحلق ممتلئة فى قولهِ :

تروح على آل المحلق جفنــة

كجابيــة السـيح العـرق تفهــق

وجاء فى (الأمالى) للقالى : «كان أبو محرز خلف يروى البيت هكذا ، ويقول (كجابية الشيخ) تصحيف ، والسيح الماء الذى يسيح على وجه الأرض ويجرى ، والجابية الحوض الذى يجمع الماء»[20] .

- **وقال المتنخل الهذلى :**

---

(١٨) كانوا يفخرون بسعة الجفان ، لأنها تدل على كثرة الآكلين وقائل البيت أبوقردودة الذى يرثى ابن عمار منوهاً بكرمه وسعة جفانه (راجع البيان والتبيين للجاحظ ١/١٩٠).

(١٩) هذان البيتان لأمية بن أبى الصلت الذى يمدح عبد الله بن جدعان (راجع البيان والتبيين للجاحظ ٣١/١) .

(٢٠) هاهو الأعشى يصور جفنة المحلق ممتلئة فياضة ـ والأعشى الكبير هو ميمون بن قيس ، الذى ينتهى نسبه إلى بكر ، ويلقب بالأعشى لقصر نظره . كان مولده فى قرية منفوحة باليمامة قرب الرياض ، وهو من شعراء الطبقة الأولى الفحول ، وممن طوفوا فى أرض الجزيرة وخارج الجزيرة . كانت وفاته أوائل ظهور الإسلام . (راجع الأمالى للقالى ٢٩٦/٢) .

لا درَّ درى إن أطعمت نازلهم
قِرفْ الحنيِّ وعندى البرمكنوز[٢١]

● وقال زيد الخيل :

نصول بكل أبيض مشرفى
على اللاتى بقى فيهن ماء
عشية تؤثر الغرباء فينا
فلا هم هالسكون ولا رِواء[٢٢]

● وقال عمرو بن عبد الله العجلى :

إذا أخمدت النيران من حذر القرى
رأيت سنا نارى يشب اضطرامها[٢٣]

---

(٢١) راجع البيان والتبيين ٣٠/١ ـ إن هذا البيت خير ما يمثل نهج العرب فى الكرم ـ يقول المتنخل الهذلى : إنه لا يستحق الخير إن أطعم ضيفه قشر المقل (الدوم) وهو يستطيع أن يقدم له قمحاً .

(٢٢) أى عمل أدل على الكرم ورعاية الغريب من أن يفتظ الرجل إبله ليأخذ ما بقى فى كرشها من الماء ، فيؤثر به الغرباء ليحفظ بهذا الماء حياتهم وإن لم يكن فيه رى لهم كما يقول زيد الخيل (راجع الأمالى ١١٧/١) .

ولنا كلمة فى هذا المقام : إنه لم تكن مفخرة العربى بأن يقدم لضيفه طعاماً عظيماً لتزيد من مفخرته بأنه جاد بأنفس ما يملك . وها هو أبو هلال العسكرى الأديب البليغ فى كتابه (الكرماء) يقول لنا : «وقد علمت أن حاتماً وكعباً وهرماً لم يجعلوا أمثالاً فى الجود لعظم عطياتهم فى القدر ، لأن الواحد منهم إنما كان يقرى ضيفاً أو يهب بعيراً أو عدداً من الشاءِ قليلاً ، ولكن ذهب صيتهم فى السماح ، وبعد ذكرهم فى الجود لأنهم كانوا يعطون وهم محتاجون ، وينيلون وهم مختلون ، وكان عطاء الرشيد والبرامكة والمأمون والأمين فى اليوم الواحد أكثر من جميع ما أعطاه أولئك فى جميع أيامهم ، ولم يضرب بواحدٍ من هؤلاء المثل كما ضرب بأولئك ، فهذا يدل على أن الناس إنما استحسنوا منهم بذلهم مع ضيق أحوالهم ، وقلة ذات أيديهم ، فجعلوهم أمثالاً مضروبة لكل من استغربوا فعله» . (الكرماء لأبى هلال العسكرى ٣٠ ـ ٣١) .

(٢٣) ولقد يسدل الليل أستاره ، والغرباء يضربون فى الصحراء رجالاً وعلى كل ضامرٍ ، =

قال حاتم :

إذا ما البخيل الخبء أخمد ناره
أقول لمن يَصْلى بنارى أوقدوا

توسع قليلاً أو يكن ثم حسبنا
وموقدها البادى أعف وأحمد[٢٤]

ويقول لغلامه :

أوقد فإن الليل قر
والريح يا غلام ريح صِر

عسى يرى نارك من يمر
إن جلبت ضيفاً فأنت حر[٢٥]

وقال عدى بن زيد :

ربُ نار بت أرمقها
تقضم الهندىَّ والغارا[٢٦]

=وهم فى حاجة إلى زاد أو ماء أو مبيت ، فما الذى يهديهم إلى محلة أو نجع ؟ تهديهم النار التى يوقدها الكرام لهداية الضيفان واجتذابهم ، وتهديهم النار التى يوقدها العرب لإنضاج الطعام أو للاستدفاء ، وقد أكثروا من التحدث بنار القرى ، ومن هذا البيت المذكور لعمرو بن عبد الله العجلى ووجدته فى مُعجم الشعراء للمرزبانى (ص ٢٢٣) .

(٢٤) حاتم الطائى زعيم الكرم العربى يأمر غلمانه بإيقاد النار إذا ما أطفأ البخيل ناره ، وأنه يأمر من يوقدها أن يتوسع فيها كى تكبر وتعلو ، فإن جلبت ضيفاً كان خيراً ، وإلا فقد أدوا ما رأوه واجباً عليهم ، وإن حاتماً ليصف غلامه الذى يسبق الآخرين بإيقاد النار بالعفة ، وأنه يستحق الشكر والحمد . (راجع شعراء النصرانية/١١٣) .

(٢٥) وحاتم مرة أخرى فى ليلة باردة يقول لغلامهِ : أوقد النار ، ليرى نارك من يمر ، وإن جاءنا ضيف فأنت حر (راجع شعراء النصرانية/١١٦) .

(٢٦) كان العرب يوقدون النار على المرتفعات ، لتكون أبين وأوضح ، وربما أوقدوها بالمندل الرطب ـ وهو عطر ينسب إلى مندل بلد بالهند ـ ونحوه مما يتبخر به ليهتدى إليها=

وقال الأعشى فى مدح المحلق :

لعمــرى لقد لاحــت عيون كثيرة
إلى ضــوء نــار باليقاع تحرق

تشــب لمقــرورين يصطليانهــا
وبــات على النــار الندى والمحلق[٢٧]

وقال مزرد بن ضرار :

فأبصر نارى وهى شقـراء أوقدتْ
بعليــاء تشــزْ للعيون النواظر[٢٨]

وقال أحدهم :

أوصيـــك خيــراً به فــإن له
خـــلائقــاً لاأزال أحمـــــدها

يــدل ضيفـى على فى غســقِ الليــ
ــل إذا النــــار نـــام موقدهـــا[٢٩]

=العميان كما يقول الألوسى فى بلوغ الأرب (٧/١).

ولكننى لاأوافق على أن إيقاد النار بالشجر العطر الرائحة كان لهداية العميان إليها، وأعتقد أن ذلك نوع من الترف المبالغ فيه، وإظهار للمقدرة، والتباهى بالثراء، ورغبة فى أن يشموا هم رائحته الطيبة ـ وهذا مايقول عدى بن زيد أن ناره كانت تحرق الشجر الطيب الرائحة (الأمالى ٦/١).

(٢٧) لقد مدح الأعشى المحلق بأن عيوناً كثيرة تلوح إلى ضوء ناره التى هى باليفاع تحرق، تشب هذه النار للمقرورين يصطليانها، وبات على النار الندى و (المحلق) والمعروف أن (قافية) الأعشى التى مدح فيها المحلق ونوه به فيها ومجده بها رفعته بعد فقرٍ وخمول ذكر.

(٢٨) هذا البيت لمزرد بن ضرار وجدته فى البخلاء للجاحظ (٢١٩/٢)، ونار شقراء: أى محمرة، ونشز: مرتفع.

(٢٩) لقد هدى العرب الغرباء إلى منازلهم فى الليل المدلهم بنباح الكلاب أيضاً، وكنوا عن كرم الرجل بجبن كلبه، لأنه ينبح فى الليل، فإذا مارأى الغرباء كف، لأنه قد اعتاد=

قال الشاعر :

ومستنبح بـات الصـدى يستبينـه
فتاه وجوز الليل مضطرب الكِسر

رفعـت له نـاراً ثقوبـاً زنادهـا
تليح إلى السارى : هلم إلى قَدرى

فلمـا أتى والبـؤس رادف رحلـه
تلقيتـه منى بوجـه امرىء بَشْر

فقلتُ له: أهل كأهل، فلم يجُره
بك الليل إلا للجميل من الأمرِ

وكادت تطير الشَّول عرفانَ صوته
ولم تُمْس إلا وهى خائفة العقر[٣٠]

وقال عتبة بن بجير الحارثى :

ومسـتنبح بـات الصـدى يسـتبينه
إلى كل صـوت فهو فى الرحل جانح

فقلتُ لأهلى: مايغام مطيَّـه
وسـار أضيافتـه الكلاب النوابح؟

=أن يطرق الدار الغرباء ، وهذا ماقاله هذا الشاعر الذى لم أتعرف عليه رغم طول بحث وتنقيب إلا أننى استفدت فى تصحيح البيتين من بلوغ الأرب للألوسى (١/٧٠) .

(٣٠) إذا ضلَّ السارى ليلاً وتحير فلم يدرِ أين البيوت ، نبح فتسمعه الكلاب ، فتنبح فيقصد أصواتها ، وهذا الذى تقول له العرب (المستنبح)ـ لقد قال الشاعر الذى لم أتعرف عليه أيضاً : لقد ضل مستنبح فى ظلمات الليل ، فرفع له ناره وتلقاه ببشاشة وهشاشة ، وإن كانت نياقه قد ذعرت من مقدمه لأنها تخوفت العقرـ وتليح بمعنى تشير ، ووجه بشر : أى وجه منطلق .

راجع هذه الأبيات فى الأمالى (١/٢١٠) . ونلاحظ أن هذا المعنى طرقه حاتم الطائى أكثر من مرة .

فقالوا: غريب طارق طوحت به
متون الفيافى والخطوب الطوائح
فقمت ولم أجثم مكانى ولم تقم
مع النفسِ علاتَ النفوس الشحائح
وناديت شبلاً فاستجاب وربما
ضَمِنَّا قِرَى عَشْر لمن لا نصافح
فقام أبو ضيف كريمٌ كأنه
قد جَدَّ من فرطِ الفكاهة مازح
إلى جِذْم مال قد نهكنا سَوَامَه
ر عرضنا فيه بواقِ صحائح
جعلناه دون الذم حتى كأنه
إذا عُد مال المكثرين منائح[٣١]

وقال المثقب العبدى :

وسارِ تعتاه المبيت فلم يَدَعْ
له طامسُ الظلما والليل مذهبا
رأى ضوء نار من بعيد فجاءها
لقد أكذبته النفس بل رأى كوكباً

---

(٣١) عتبة بن بجير الحارثى يقص علينا فى هذه الأبيات قصة ضيف مستنبح ، أضلّه صدى الصوت ، فسمع بجير رغاء ناقته ، وسمع نباح كلاب الحى ، فسأل أهله فقالوا له : إنه غريب طوحت به المقادير ومعها الصحراء والخطوب ، فنهض شاعرنا بجير مهرولاً إلى نجدته ولقائه ، ولم تقعده معاذير تختلقها النفس الشحيحة ، ونادى ابنه المسمى (شبلاً) فلبى نداءه ، لأن الكرم سجية أصيلة لهما ، وربما أكرما من يعاديان ، وقام متهللاً فنحر من نوقه الباقيات ، وطالما سخروا من نوقهم وأهانوها ليصونوا أعراضهم . وجميل من بجير أن يسمى نفسه أبا الضيف . راجع (الكرماء/١٠) والحماسة (٢/٢٤٠) .

فلمـا استـبان أنهـا إنسـية

وصـدَّق ظنـاً بعد ما كان كـذبا

رفعـتُ له بالكـفِ نـاراً تَشُـبَهـا

شَـاميةُ نكبـاء أو عاصـف صَبَا

وقلـتُ ارفعـاها بالصعيد كفى بها

منـادٍ لسـار ليلة إن تأوبـا

فلمـا أتانى والسـماء تبـلُهِ

تلقيتـه أهـلاً وسـهلاً ومرحبـاً

وقمتُ إلى البَرك الهواجد فاتَّقَـتْ

بكومـاء لم يذهب بها النَّىُّ مذهبـا

فرجَّعْـتُ أعلى الجنب منهـا بلعنـة

رعـت مستكنَّ الجوف حتى تَصبَّبَا

تسـامى بنـاتُ الغَلى فى حَجَراتهـا

تسامى عناق الخيل وردا وأشبها(٣٢)

---

(٣٢) هذه قصة تصور الكرم العربى فى أجلى صوره وقائلها هو (المثقب العبدى) واسمه (عائذ بن محصن بن ثعلبة)، ويتصل نسبه بربيعة بن نزار، وقد لقب بالمثقب لقوله فى بيت شعر: (ثقبن البراقع للعيون)، وهو من الشعراء المعدودين فى عصر ماقبل الإسلام، كان فى عهد عمرو بن هند ملك الحيرة العراقية، ومن معاصرى عمرو بن كلثوم شاعر (بنى تغلب). ويتميز شعره بالاتجاه الأخلاقى والدعوة إلى الفضائل والصفات المحمودة فى النفوس.

لقد رأى المثقب سارياً أعياه المبيت، ولم يجد فى الظلماء طريقاً، ولكنه رأى على البعد كوكباً فظنه ناراً موقدة، فأسرع إليها معتقداً أنه وجد قراه ومبيته وأمانه. فلما تبين أنه واهم كان المثقب قد رفع ناره، وأمر عبديه أن يشعلاها، فقدم الضيف إليها مبتلاً من المطر، فرحب به أيما ترحيب، ونهض على الفور إلى إبله الراقدة، فتخير منها أسمنها، ونحرها، وأنضج له لحمها وقراه.

وقرأتُ هذه القصيدة فى ديوان المثقب العبدى مخطوطاً بدار الكتب المصرية قسم=

وقال حاتم :

وإذا كان بعضُ المال رباً لأهله
فإنى بحمـدِ الله مالى مُعَـبدٌ
يفـك به العانى ويؤكل طيبـا
ويعطى إذا مـنَّ البخـيل المصرد[٣٣]

وقال الشمخىُ الفزارى :

ألم تعلمى ياعمـرك الله أننـى
كريم على حـين الكـرامُ قليـل
وأنى لاأخـزى إذا قيـل مقـترٌ
جـواد وأخـزى أن يقال بخيل[٣٤]

= المخطوطات تحت رقم (٥٦٥) أدب .

وتعناه : أتعبه ، والبرك الهواجد : الإبل النائمة ، كوماء : سمينة ، النى : السمن ، تسامى : ترتفع ، بنات الغلى : قطع اللحم ، حجراتها : نواحى القدر .

ولذلك نجد الشعر حافلاً بوصف الكلاب بالجبن والأنس إلى الوافدين دلالة على الكرم ، ووصفها بالشراسة والنباح فى القادمين دلالة على البخلِ ، وقد افتن الشعراء فى هذا افتناناً . (راجع البخلاء للجاحظ ٢/٢١٣-٢١٩) .

(٣٣) إذا كان الأجداد قد افتخروا بالشجاعة ، فقد افتخروا بالكرم ، وكان فخرهم بالكرم دليلاً على أنهم قمعوا شره نفوسهم ، وتغلبوا على شحها ، وآثروا غيرهم على أنفسهم أو أشركوه فى خيرهم .

وقد عرض هذا المخطوط لطرفٍ من فخارهم بهذا ، ومن ذلك فخر حاتم الطائى بأنه سيد ماله ينفقه ويهينه ، فليس لماله عليه سلطان كسلطانه على بعض الناس ، وهو ينفق ماله فى الخير فيفك به الأسرى ، ويقدمه طعاماً للآكلين ، ويغيث به السائلين والمحتاجين إذا بخل الناس . (راجع شعراء النصرانية ١١٢) .

(٣٤) هذان البيتان للشمخى الفزارى وجدتهما فى البيان والتبيين للجاحظ ١٥٤/٣ .

وقال طرفة :

ولســت بحـلالِ التــلاع مخــافة

ولكن متى يســترفد القوم أرفد[٣٥]

ويقول علباء بن أرقم :

وإذا العــذارى بالدخــانِ تقنعــت

واستعجلت هَـزم القـدور فملَّـت

دارت بأرزاق العُفــاة مغــالق

بيدَىَّ من قَمعَ العشـار الجِلَّة[٣٦]

وقال طرفة :

أرى قبر نحــام بخيــل بمـالِهِ

كقــبر عــوىٍّ فى البطالة مفســد

أرى المــوت يعتام الكرام ويصطفى

عقيلة مــال الفاحــش المتشــددِ[٣٧]

---

(٣٥) فى هذا البيت يتبرأ طرفة بن العبد البكرى فيه من أن يكون نزوله إلى مسايل الماء والوهاد تهرباً من القرى ، والبيت من معلقة طرفة بن العبد (ديوان طرفة/٢٧) .

(٣٦) رووا عن سلمـ[illegible] أن [illegible]ـباء بن أرقم قصيدة ، يقول فى بعض أبياتها : إن العذارى ينضجن له اللحم على عجل فيدور به على الطالبين فى مغالق .

راجع الأمالى ٨١/١ ، ونوادر أبى زيد ١٨٤ . هزم القدور : غليانها ، قمع : جمع قمعة وهى رأس السنام ، العشار الجلة : النوق المسنة .

(٣٧) كان لبعض العرب فلسفة عملية صائبة مبنية على بعد النظر والتجربة ، فهم لا [illegible]رون مدعاة للبخل ، لأنهم لن يموتوا جوعاً ، ولأن المال الذى يخلفونه سيرثه [illegible]يرهم ، وقد يكون من الورثة عدو يتلهف ويتشوف ، ثم هم سيموتون و[illegible]ر هم أن يخلفوا طيباً . كما يقول طرفة فى ديوانه (ص ٣١) . ومعنى يعتام [illegible] يصطفى ، الفاحش : البخيل ، نحام : بخيل .

وقال حاتم :

أمـاوى إن المـالَ غـاد ورائح
ويبقـى من المالِ الأحاديث والذكر
أماوىّ ما يغنى الثراء عن الفتى إذا
حشرجت نفس وضاق بها الصدر (٣٨)

وقال أيضاً :

أهِـنْ للذى تهوى التلاد فـإنه
إذا مـت كـان المال نهباً مقسما
ولا تشقينْ فيه فيسـعد وارث
به حين تخشى أغبر اللون مظلمـا
يقسِّمه غُنْمـا ويشـرى كرامـة
وقد صرتُ فى خط من الأرض أعظما
قليـل به مايحمدنّـك وارث
إذا ساق مما كنت تجمع مغنمـا (٣٩)

---

(٣٨) هذان البيتان لحاتم الطائى يحملان فى مضمونهما نفس المعنى الذى قاله طرفة فى البيتين السابقين راجع (شعراء النصرانية/جـ ا ص ١٠٩)

(٣٩) هذه الأبيات لحاتم الطائى يبدو فيها عزمه على بذل المال مهما كانت الظروف (شعراء النصرانية١١٩/١) وحاتم هذا ساخط ناقم حزين ، يتمثل الموت والوارثين . وبعضهم يتشوفون موت الغنى ليرثوا ، لذا يوصى حاتم أن ينفق صاحب المال عن آخرهِ فى الكرم ، وحتى لا يستمتع به شانىء، ولقد يشترى هذا الوارث الشانىء محامد ومفاخر لنفسهِ بالمال الذى ورث . ولعلهم بكرم حاتم أكثر احتفاء من كرم غالب بن صعصعة ، لأن الناس بمآثر الجاهلية أشد كلفاً . وإلا فما بال أيام الإسلام ورجالها لم تكن أكبر فى النفوس ، وأجل فى الصدور من رجال الجاهلية ، مع قرب العهد ، وعظم خطر ما ملكوا ، وكثرة ما جادت أنفسهم ، ومع الاسلام الذى شملهم ، وجعله الله تعالى أولى بهم من أرحامهم على حد قول الجاحظ فى كتابه الحيوان (١٠٨/٢) .

قال مُعَيَّةُ بن الحمام فى رثاء أخيه حُصَين :

نعيتَ حيا الأضياف فى شتوة
ومدرة حرب إذا تخاف الزلازل

ومن لا يُنادى بالهضيمة جاره
إذا أسلم الجار الألَفُّ المواكل[٤٠]

وقال ابن بكير اليربوعى :

والمالىء الشيزى لأضيافه
كأنها أعضاد حوض بقاع

لايخرج الأضياف من بيتهِ
إلا وهم منه رواء شباع[٤١]

ويقول حازم بن أبى طرفة :

بنية إن الموت لابد لاحق
بشيخك ماضى الأنام المودع

فإن قمت تبكينى فقولى أبو الندى
ومأوى رجال بائسين وجُوَّع[٤٢]

وقال شداد بن الأسود :

فماذا بالقليب قليب بدر
من القينات والشرب الكرام

---

(٤٠) لقد رثى العرب الكرماء فأشادوا بكرمهم فى حياتهم ، وهاهو مُعَيَّةُ بن الحمام يرثى أخيه حُصَين - راجع الأمالى للقالى (٦٢/١) - والألَفُّ : العاجز العيى بالأمور .

(٤١) السفاح بن بكير بن معدان اليربوعى يشيد بسعة وعمق القصاع التى كان يقدمها لضيوفه يحيى بن شداد بن ثعلبة بن بشر . (المفضليات ١٢٣/٢) .

(٤٢) ودَّ حازم بن ابى طرفة أن ترثيه ابنته بالكرم إذاما مات ، فتعدد من مآثرة أنه كان معطاء جواداً ، وأنه كان مأوى الجياع والبائسين (المؤتلف والمختلف للآمدى ١٠٠) .

وماذا بالقليب قليب بدر
من الشيزى تكلل بالسنامِ[٤٣]

[فصل] كان خالد بنُ عبد الله القسرى يقول : تنافسوا فى المغانِم وسارعوا إلى المكارمِ . واكتسبوا بالجودِ حمدا ولا تكتسبوا بالمالِ ذما . ولا تعدوا بمعروف ولم تعجلوه . واعلموا أن حوائج الناس نعمة من الله عليكم فلا تملوها فتعوذ نقماً .

قال الشاعر :

مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا
ومات فى إثرهِم تلك المكرمات

وخلفونى فى قومٍ ذوى سفه
لو عاينوا طيف ضيف فى الكرى ماتوا

وقال آخر :

إنى وإن لم ينل مالى مدى خُلقى
فياض ما ملكت كفاى من مال

لا أحبس المال إلا ريث أتلفهُ
ولا تُغيرنى حالٌ إلى حالِ

وقال سوادة اليربوعى :

ألا بكرت (مى) على تلومنى
تقول ألا أهلكت من أنت عائله

ذرينى فإن البخل لا يخلد الفتى
ولا يهلك المعروف من هو فاعِلُهْ

---

(٤٣) هذان البيتان من (ميمية) قالها شداد بن الأسود (أبو بكر بن الأسود) لقتلى بدر – (سيرة ابن هشام ٢/٤٠٠) .

قال آخرُ :

يفـنى البخـيل بجمـع المالُ مدتهُ
وللحـوادث والأيــامِ مايـدعُ

كــدودة القــز ماتبنيــه يهدُمهــا
وغيرهــا بالذى تبنيــه ينتفــع

وقال غيره فى المعنى :

ألم تر أن المرءَ طـول حيـاتِه
معـنى بأمرٍ لايـزال يعالجـــه

كذلك دودُ القز ينســج دائمـاً
ويهـلك عَـما بالذى هو ناسِــجهُ

وقال الحطيئة[٤٤] يصف أعرابياً جواداً صاحب صيد ألوفاً للفلوات[٤٥] :

---

(٤٤) الحطيئة هو جرول بن أوس : أحد الشعراء الذين أدركوا الجاهلية والإسلام (شاعر مخضرم) . ونشأ فقيراً ناقماً على الدنيا والناس ، وتكسب بشعره ، وأجاد فيه وكان له فى الهجاء تفوق وبراعة لا نظير لهما . شهد واقعة القادسية . وعمر طويلاً . حتى أدركته منيته فى خلافة معاوية بن أبى سفيان . وهذه القصيدة التى معنا دليل على كرم العرب ، الذى بالغوا فيه ، فكان أحدهم يجود بما يملك . ويبذل فى أيام الضيق والعسرة ، ويقول قائلهم لزوجتهِ :

إذا ماصنعت الزادَ فالتمسى له أكيلاً فإنِّى لستَ آكله وحدى

وعرف بين العرب الأجواد الأسخياء من أمثال شاعر الكرم العربى (حاتم الطائى) . الذى نزل به قوم فى سنة مجدبة ، شديدة القحط ، والجفاف ، فلم يجد مايقدِّمه غير فرسهِ الحبيب إلى قلبهِ . فنحره ؛ لئلا يبيت ضيوفه جياعاً . وقد صور الحطيئة فى القصيدة التى أمامك أعرابياً معُدْماً ، يعيش فى قفر من الأرض ، وينزل به ضيف ، فيلبى الأعرابى بفطرته و بساطته ورغم كل ظروفه نداء الكرم الأصيل فى نفسه ويبلغ فى ذلك غايةُ ما كانت تنتظر من معدم مثلِهِ .

(٤٥) ذكرها جولد تسهير فى نشرته لديوان الحطيئة سنة ١٨٩١ م فى نهاية القصائد=

وطاوى ثلاثٍ، عاصب البطن مُرْملٍ

بتيهاء لم يعرف بها ساكن رسما[٤٦]

أخي جفوة، فيه من الإنس وحشةٌ

يرى البؤسَ فيها من شراسته نعمى[٤٧]

وأفرد فى شعبٍ عجوزاً إزاءها

ثلاثةُ أشباح تخالهم بهمَا[٤٨]

رأى شبحاً وسط الظلام فَراعهُ

فلما بدا ضيفاً، تسور واهَما[٤٩]

فقال ابنه، لما رآه بحيرةٍ

- أيا أبت اذبحنى! ويسر له طعما[٥٠]

=والمقطوعات التى أخلت بها مخطوطات ديوان الحطيئة، وكذلك ذكرها الأستاذ إفرام البستانى فى العدد الذى نخص به الشاعر الحطيئة من أعداد مجموعته «الروائع» باختلاف فى الرواية، والظاهر أنه نقلها عن ديوان الحطيئة المطبوع فى القسطنطينية التركية سنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) ولم أطلع عليه.

(٤٦) الطاوى: الجائع، ثلاثٍ: أى ثلاث ليالٍ. عاصب البطن: الذى يتعصب بالخِرق ويشدها على بطنه من الجوع - ومُرمل: محتاج. ورواها البستانى: «ببيداء». - والرسم: ماتبقى بالأرض من آثار الدار: أى هو فى مفازة لم ينزل بها أحد.

(٤٧) الجفوة: غلظ الطبع. فيها: أى فى التيهاء. أى هو محب للعزلة، لا يألف الناس، يرى الوحدة فى هذه الصحراء الجرداء نعيماً وسعادة، لشدة نفوره من الخلق.

(٤٨) البهم: جمع بهمة وهى ولد الضأن والماعز، شبههم بها لهزالهم. وروى البستانى البيت: تَفَرَّد أى تفرد بعجوز. وبعد هذا البيت أورد إفرام البستانى الآتى:

حفاة عُراة ماغتذوا خبز مَلّة ولا عرفوا للبُرِّ مُذ خلقوا طَعْماً

(٤٩) فى رواية (تشمر) وفى أخرى (تصور).

(٥٠) هذا يشبه ما جاء على لسان ذبيح الله سيدنا إسماعيل فى الآية [١٠٢] من سورة الصافات: ﴿**قال يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين**﴾.

ولا تعــتذر بالعــدم عَــلَّ الذى طرا
يظن لنا مالاً فيوسعنا ذمـا[٥١]

فروى قليلاً ، ثم أحجــم برهــة
وإن هــو لم يذبــح فتــاه فقدهمــا

فبينـــا هما عَنّت على البعد عانة
قدانتظمت من خلف مِسحلها نظما[٥٣]

عطاشـا تريد الماءَ فانسـاب نحوها
على أنه منها إلى دمِهـا أظْمَــا[٥٤]

فأمهلهــا حتى تــروت عطاشــها
فأرسـل فيهـا من كنانته سـهما[٥٥]

فخرت نحوص ذات جحشٍ سمينة
قد اكتنزت لحماً وقد طبقت شحماً[٥٦]

---

(٥١) العُدْم : الفقر : طرا : أصلها طرأ : أى الذى نزل بنا .

(٥٢) روى : فكّر . أحجم : امتنع . هَمّ : كاد يذبحه . وروى إفرام البستانى بعد ذلك البيت الآتى :

وقال : هيــا رَبّــاهُ : ضــيفٌ ولا قِــرىً ؟!
بحقــك لا تحــرْمه تا الليلة اللحمــا

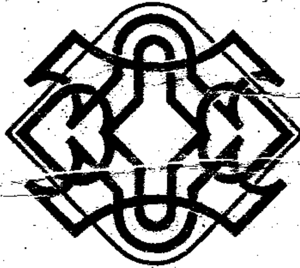
(٥٣) (فبيناهُما) أو (فبيناهُمُ) ــ عنت : عرضت العانة : الأتان . المسحل : الحمار الوحشى . انتظامها من خلفهِ : إنضمامها إليه ، وقربها منه .

(٥٤) فى البستانى : (ظِماءً) بدلاً من (أظْمَا) . والشطر الثانى (ألا إنه منها إلى دمها أظما) بدلاً من (على أنه منها إلى دمها أظْمَا) .

(٥٥) الكنانة : جعبة السهام التى توضع فيها .

(٥٦) فى البستانى : (ذات جحشٍ فتية) بدلاً من (ذات جحشٍ سمينة) . وخرت : سقطت . والنحوص هى الأتان الوحشية . واكتنزت : امتلأت . طبقت شحما : أى امتلأت حين عَمّها الشحم .

فيا بشـره إذا جرهـا نحو قومه
ويا بشرهم لما رأوْا كلمها يدمى[٥٧]
فباتـوا كِراماً قد قضوا حق ضيفهم
فلم يغرموا غُرماً ، وقد غنموا غُنما
وبـات أبوهـم من بشـاشتهِ أبـا
لضيفـهم والأُمُّ من بشرِها أُمـا[٥٨]



(٥٧) فى البستانى : (نحو قومها) بدلاً من (نحو قومِهِ) .
(٥٨) راجع فى هذه القصيدة : ديوان الحطيئة/برواية وشرح ابن السكيت (١٨٦ – ٢٤٦ هـ) حققه د . نعمان محمد أمين طه عن مكتبة الخانجى بالقاهرة (١٩٨٧ م) .

الباب الخامس

البخل(*) فى الشعر العربى القديم

(*) لاشك أن البخل من الآفات التى أصابت الإنسان فإنها تجرى فيه مجرى الدم فى العروق ، وتتغرس فى عظامه حتى النخاع فتتحول إلى جزء من تكوينه وطبعه ، ومع مرور الوقت يعرف الناس أن فلاناً بخيل أو مقتز أو شحيح فيبتعد عنه ندماؤه وأحباؤه وتهجره الصحبة والرفاق .. والبخيل شخص مريض وإن زعم غير ذلك بل إن البخيل يقص عليك كلاماً يعتبره هو فلسفة خالصة ولِـمَ لا .. ولماذا لا تكون للبخل فلسفة يدافع عنها البخلاء ؟ .. إن فلسفتهم فى تقتيرهم غريبة وطريفة فى ذات الوقت ، وهم يقلبون الأمور حتى تصاغ تبعاً لأهوائهم ومشاربهم الخاصة . ولقد اعتبر البخل شيئاً مذموماً غير مستحب فى المرء .. وقد قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : «**إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم والبخل جامع لمساوىء القلوب وهو زمام يقاد به إلى كل سوء**» .. ومن الطريف أن يلصق بهذا الداء الخطير نوادر يتناقلها العامة والخاصة على حد سواء ، وهى تنتقل من جيل إلى جيل ، ويلمح المرء من خلال هذه النوادر بعضٍ من حكمة وبعض من تسلية تتسلى بها القلوب ، وهى أيضاً عبرات لكل ذى عقلٍ يعى .. وقد قيل إن بخلاء العرب أربعة ـ وهم أكثر بالطبع ـ وهؤلاء البخلاء الأربعة هم الحطيئة وحميد الأرقط وأبو الأسود الدؤلى وخالد بن صفوان .. وقد حكيت نوادر كثيرة عن هؤلاء البخلاء وعن غيرهم .. فقد قيل إن حميد الأرقط كان هَّجاء لضيوفهِ كثير الذم لهم ، وقد نزل عليه ضيوف فى أحد الأيام فأطعمهم تمراً ثم هجاهم بعد ذلك وقال إنهم أكلوا التمر بنواه .. !!

ومن نوادرهم أيضاً أن الجوع قد غلب على امرىء ذاتِ يوم فمضى إلى دار أحدهم ليتغذى عنده ، فلما وصل إلى باب الدار أبصر غلامه فسأله عن سيدهِ فقال الغلام : والله لن أدلك عليه إلا إن أعطيتنى رغيفاً فولى الرجل هارباً من فوره .. !!

ومن نوادرهم أيضاً أنه روى عن بخيلٍ أن ضيفاً قد طرق بابه ، وكان بين يدى البخيل خبز وإناء به عسل فسارع إلى رفع الخبز وبينما هو يرفع العسل دخل الضيف فكانت مفاجأة للبخيل ولم يستطع تداركها ، وظن أن الضيف لن يأكل العسل بلا خبز إلا أن الضيف وافق على أكل العسل بلا خبز وراح يلعق العسل لعقاً بينما ينظر إليه البخيل بذعر وغيظ ولكنه لم ينتظر فصاح فيه : مهلاً يا أخى والله إنه يحرق القلب .. فقال الضيف : =

= نعم .. صدقت ولكنه يحرق قلبك أنت .. !! وقد قال بخيل لخادمه : هات الطعام وأغلق الباب إلا أن الخادم الحصيف قال بخبث : هذا خطأ يا مولاى .. فإنما يقال : أغلق الباب وهات الطعام .. فسر منه سيده وأعتقه ..

إن هذه الطرف التى اوردناها فى هذا الهامش على سبيل المثال تظهر أى اعوجاج قد أصاب طبيعة البخيل وتكوينه ، إن للنقود بريق وللذهب كذلك بريق والدرهم الفرد يجذب الدرهم ، وعندما تربو الأموال وتزداد تتحول هذه النفسية المريضة إلى حارسة لهذا المال وكانزه له ، وتنتهى بذلك وظيفة المال كوسيلة لإسعاد النفس وإرضائها .. ونحن لن نحاول سبر أغوار نفس البخيل فى هذه العجالة وتحديد الأسباب التى أدت إلى هذا الاعوجاج فما كان هذا هدفنا ، إنما الغرض من هذا الهامش ينسحب إلى شيئين : أولهما : إظهار الفلسفة التى يركن إليها البخلاء فى مذهبهم وإظهار العبر منها .. أما الشيء الثانى فيكمن فى التسرية عن النفس وتسريتها وتسليتها .. فنوادر البخلاء لا تخلو من ظرف وطرافة . يقول الجاحظ فى كتابه الشهير : «البخلاء» : ولك فى هذا الكتاب ثلاثة أشياء ؛ بتبين حجة طريفة أو تعرف حيلة لطيفة أو استفادة نادرة عجيبة وأنت فى ضحك منه إذا شئت وفى لهو إذا مللت الجد .. والبخلاء ـ كما يعرف القارىء ـ واحد من أشهر كتب العرب .. وقد جمع فيه كاتبه نوادر شتى وقصص لبخلاء العرب وهى نوادر لا تخلو من الفكاهة أو الطرافة .. والجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر وقد لقب بالجاحظ .. ولد الجاحظ فى البصرة العراقية وأخذ العلم من أساطين اللغة والثقافة والأدب فى عصره .. وكتب الجاحظ الكثير من المؤلفات فى حياته حتى أصيب بشلل نصفى فى أواخر عمره ، فقضى أيامه الأخيرة بالبصرة حيث مات ويعتبر كتاب : «البخلاء» مع كتاب : «الحيوان» وكتاب : «البيان والتبيين» من أشهر كتبه على الإطلاق .

وكتاب «البخلاء» كتاب ضمَّنه الجاحظ أخبار بخلاء عصره ممن عرفهم أو سمع عنهم ، وقد كتبه نزولاً عند رغبة أحد أصدقائه الذى سأله أن يفصل نوادر البخلاء وطرف الأشحاء وما يجوز فى ذلك من باب الهزل وما يجوز منه فى باب الجد ـ وقد راح الجاحظ يتتبع ماكتب فى هذا الباب وراح يتقصى الأخبار ويقتنص نوادر أهل العلم والأدب فى مجال البخل ، ويجمع ما يقع بين يديه من النوادر والملح ويقلب النظر فيما تركه الحزامى والكندى وسهل بن هارون وغيرهم فى تحليل نفسية البخلاء .. وقد جمع كل ذلك فى كتاب كان خلاصة خبرته ومجموعة معلوماته وصورة لناحية البخل والاقتصاد فى مجتمعهِ ، وانتهج فيه سبيلَ القصص والفكاهة والتهكم ناقداً الإسراف فى حب الدرهم مطرئاً حكمة البخلاء فى أساليب إقتصادهم ، مقدماً دروساً حية وعظات فكاهية ومظهراً ثقافة واسعة فى التطلع إلى آفاق مختلفة : =

قال الأعشى :

تبيتــونَ فى المشتى ملاءً بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصاً[1]

=والجاحظ يفتتح كتابه بنظرة مجملة فى نفسية البخلاء وما هم عليه من حب التمرية والظهور بغير الحقيقة إخفاءً لعيوبهم وإغضاء عن نقائصهم ثم ما هم عليه من الفطنةِ لعيوب الناس ، فهم أبداً عين تنظر إلى الغير لتأخذ عليهم مالا تأخذه على أصحابها ، وبعد ذلك يثبت الجاحظ رسالة سهل بن هارون فى البخل ومارداً به على بنى عمه الذين تنكروا لمذهبِهِ فى البخل ، ثم ينتقل الجاحظ إلى بخلائهِ ويفتتح السلسلة بأهل خراسان وإذا البخل فيهم طبع ثم يأتى إلى ذكر أهل البصرة من المسجديين، ويروى قصص زبيدة بن حميد الصيرفى وليلى الناعطية وأحمد بن خلف وخالد بن يزيد وغيرهم ممن شاعت أخبارهم .. ويثبت الجاحظ بعد ذلك رسالة أبى العاصى إلى الثقفى فى ذم البخل ومدح الكرم وجواب ابن التوأم على رسالة الثقفى فى إظهار مفاسد البذل . إن كتاب « البخلاء » للجاحظ يصور شريحة من الناس ليسوا وقفاً على عصر بعينه أو زمن بعينه .. فالبخل والشح لصيق ببعض الناس يعيش فى طواياهم... والحقيقة أن الجاحظ فى كتابه حين صور شريحة البخلاء صورهم بملابسهم .. وبعاداتهم ، بما ألفوا عليه وتعوّدوه فكأنه ينقل جزء من التاريخ الجغرافى أو بمعنى آخر : الجغرافية التاريخية .. كل ذلك بلغة جاحظية تعكس فى سماتها التفكه والمداعبة حيناً والتهكم والسخرية حيناً آخر وكأنك سائر من هذا إلى ذاك ولكنك فى النهاية ـ لا محالة ـ ظافر بحكمة عظيمة وعبرة ذات أثر عميق .. وفى حقيقة الأمر ـ ودون مبالغة ـ إن كتاب البخلاء هو المصدر الأساسى والأصلى الذى استقى منه كل من كتب عن البخل والبخلاء ـ وابن المبرد : جمال الدين واحد من هؤلاء فقد ذكر أشعار البخل والبخلاء فى هذا الفصل الصغير من كتابنا الذى نحققه .

ولمزيد من المعلومات عن البخل والبخلاء راجع كتاب «البخلاء» لأبى بحر بن عثمان الجاحظ وقد قمنا بإعادة تحقيقه والتعليق عليه ودراسته لحساب مكتبتى : القرآن وابن سينا بالقاهرة عام (١٩٨٩ م) . وللقارىء أيضاً أن يراجع مافى أمهات كتب التراث العربى من أحاديث متفرقة عن البخل والبخلاء ، والكرم والكرماء .

(١) بيت الأعشى يقول لنا : إن شيوع الكرم فى الخلق العربى ، وتقدير العرب للكرماء لا ينفى أن بعضهم كان علىٰ بخلٍ يضن بماله على السؤال ، ويتهرب من النوال ، وقد هُجى بالبخل بعض رجالهم ، ونلاحظ فيما سيأتى من أشعار فى هذه المخطوطة ان نساءهم كن أبخل من الرجال .

ويقول عروة بن الورد :

إنى امـرؤ عـافى إنـائى شـركة
وأنت امـرؤ عـافى إنـائك واحـد
أتهـزأ منى أن سـمنت وأن ترى
بوجهـى شـحوب الحق والحق جاهد
أقســم جسمى فى جسوم كثيرة
وأحســو قـراح الماء والماء بـارد[2]

ويقول الهذلى الأعلم :

وإن ســيادة الأقــوام فاعلــم
لهــا صعـداء مطلبُهَـا طـويل
أترجـو أن تسـود ولا تُعَـنَّى
وكيـف يسـود ذو الدعـة البخيل[3]

وقال شاعر :

لاتقربى يابنت عمى بُوهـةً
من القـومِ دفناسـاً غبيـاً مُفَنَّداً

---

(٢) فى هذه الآبيات يعير عروة بن الورد الشاعر الصعلوك أو أمير الصعاليك جاره أو خصمه بالبخل ، وفى نفس الوقت نجده يفتخر بكرمه (راجع شعراء النصرانية /٨٨٧) . وديوان عروة بن الورد (ط بيروت) .

(٣) إن تنفير العرب من البخل دليل فعلى على وجوده ، وإلا فلماذا يهجونه وينفرون منه ؟ إن الداعين إلى الخير والمنفرين من الشر إنما ينفرون من شر واقع فى المجتمع ويريدون أن يطهروا المجتمع منه ، نقول ذلك كى نثبت أن بعض العرب كان بخيلاً ، غير مجتزى بأهاجى الشعراء وتعييرهم خصومهم بأنهم بخلاء ، وقد يقال إن الشعراء يلصقون بأعدائهم ماليس فيهم .

وهانحن نقرأ أبيات الهذلى المعروف بالأعلم الذى يرى أن طريق السيادة صعب المرتقى وأصعب مافيه أن يكسر الراغب فى السيادة حرصهِ على المال . (البيان والتبين ١/٢٢٥) .

وإن كان أعطى رأس ستين بكـرة

وحكمـا على حكـم وعـبدا مُوَلَّدا

ألا فاحـذرى لاتوردنَّـك هَجْمَـةٌ

طوالُ الذرى جبْساً من القومِ قُعْدَداً[٤]

وقال حاتم :

وقائلة أهلكـت بالجـود مالنـا

ونفســك حـتى ضر نفسك جودهـا

فقلـتُ دعينى إنما تلك عـادتى

لكـل كريـم عـادة يسـتعيدها[٥]

وقال المثلم بن رباح المرى :

بكر العـواذل بالسـواد يلمننـى

جهـلاً ، يقلن : ألا ترى ما تصنع ؟

أفنيـت مالك فى السـفاهِ وإنمـا

أمر السـفاهة ماأمرنـك أجمـع[٦]

---

(٤) هذا الرجل يحذر بنت عمه من أن تتزوج بآخر بخيل رعديد جبان ، وإن قدم مهراً مغرياً ، ستين ناقة سمينات وغيرها من عبيد ورضاً بما يريدون (البيان والتبين ٢٤٦/١ - بوهة : أحمق ، دفناس : بخيل حقير ، بكرة : ناقة فتية، هجمة : قطيع من الابل من أربعين إلى مابعده ، جبس : ثقيل ، قعدد : جبان خامل .

(٥) لقد استرعى انتباهى وأنا أراجع كتب التراث واتابع فيها أخبار الكرماء والبخلاء لأجمع المادة التحقيقة لهذا الكتيب فيض من شكاية الرجال من نسائهم المانعات من الكرم اللائمات على الاسراف ، فمثلاً حاولت امرأة حاتم الطائى أن تغل يده على العطاء بدعوى أنه بسخائه قد أضر بنفسهِ وبها ، فعصاها ؛ لأن الكرم عادة راسخة عنده لايستطيع أن يبطلها . (راجع شعراء النصرانية ١٢٦/١) .

(٦) لقد ضاق المثلم بن رباح المرى بلائماته على كرمهِ ، لأنهن جاهلات بما يثمر الكرم من محامد ، ويدعين أنه إسراف وطيش ، ومالطيش إلا البخل والأمر بالبخل . (راجع الحماسة ٢٨٦/٢) .

وقال حطائط بن يعفر النهشلي :

تقول ابنة العبَّاب رهم حربتنا
حطائط لم تترك لنفسك مقعدا

إذا ماأفدنا صِرْمة بعد هجمةٍ
تكون عليها كابن أمك أسودا

فقلتُ ـ ولم أعي الجواب ـ تبيني
أكان الهزال حتف زيد وأربدا

أريني جواداً مات هزلاً لعلني
أرى ماترين أو بخيلاً مخلدا(٧)

ويقول المخيل السعدى :

وتقول عاذلتي وليس لها
بغدٍ ولا مابعده علم

إن الثراء هو الخلود وإن (م)
المرء يكرب يَوْمَهُ العُدْم

إني وجدِّك ماتخلدني
مِئةٌ يطير عفاؤها أُدْم

ولئن بنيت لى المشقر في
هضب تُقصِّرُ دونه العصم

(٧) لقد رد حطائط بن يعفر النهشلي رداً مفحماً على زوجه المدعوة (رُهْم) التى زعمت أن جوده أهلكهم لأنه كلما اقتنوا ابلاً بذلها ، كما يصنع أخوه الأسود ، فقال لها غير عاجز عن الجواب : تبصرى ، فهل ترين أن الهزال هو الذى أمات زيداً وأربد ، وإنك لتعجزين أن تسمى لى كريماً مات من الهزال ، وتعجزين أن تسمى بخيلاً قد تخطاه الموت ، فلا الكرم يميت . ولا البخل يبقى والأبيات جاءت فى الحماسة (٢/٣٢٠) . وحربتنا : سلبتنا مالنا الذى نعيش به ، صرمة : جماعة من الإبل من عشرة إلى أربعين . هجمة : من الأربعين إلى مابعدها .

لتنقين عنى المنية إن (م)

الله ليس كحكمه حكم[٨]

يقول معاوية بن مالك العامرى :

قالت سمية : قد غويت بأن رأت

حقاً تناوب مالنا ووفود

غَنٌّى لعمرك لاأزال أعوده

مادام مال عندنا موجود[٩]

وقال حجية بن المضرب :

لججنا ولجت هذه فى التغضبِ

ولط الحجاب دوننا والتنقب

تلوم على مال شفانى مكانه

فلومى على مافاتك اليوم واغضبى

ولا تحسبينى مِلْدَماً إذ نكحته

ولكنى حجية بن المضرَّب

(٨) المخيل السعدى يسلك مسلكاً آخر ، حين تدعى عاذلته التى لاتعلم الغيب ولاتعرف مايجئ به الغد ــ أن الغنى يخلد صاحبه . وأن الفقر يجلب المصائب ، فكأنها تقول : انه ينقص العمر ويسرع بالأجل ؛ فيقول لها : أقسم أنى لو ملكت مئة من الابل الخالصة البياض التى طار وبرها من سمنها مانجوت من الموت . وردت الأبيات فى المفضليات (١١٦/١) . يكرب يومه : يقرب موته ، يطير عفاؤها : يذهب وبرها من السمن . الأدم : الابل الخالصة البياض ، المشقر : حصن بالبحرين ، العصم : الوعول : أى الهضبة العالية التى لاترقاها الوعول .

(٩) هذان البيتان لمعاوية بن مالك العامرى من أوجع الردود على العاذلات اللائمات على الكرم ، فقد اتهمته زوجته بالضلال والسفه لما رأت الناس يقصدونه ، فقال لها : ليكن عملى ضلالا ، فسأفعله دائماً لأنى تعودته . وهو بهذا يغيظها مرتين . (راجع المفضليات ١٥٦/٢) .

فإن تجلسي فأنت أقفى عيالنا
وإن تكرهي هذه المعيشة فاذهبي
وخطت بعود إثمد فوق عينها
لتذهب عقلي بالنَّواكة زينبي
رحمتُ بني معدان إذ ساق مالهم
وحق لهم مني ورب المحصَّب
ولما رأيت النفس ألا تقرها
هدايا لهم في كل قَعْب مشعب
رثيت لهم لما رأيت سوامهم
عطاء الموالي من أُفيلٍ ومُصْعبَ
فقلت لعبدينا أريحا عليهم
سأجعل بيتي مثل آخر معزب
وقلتُ خذوها واعلموا أن عمكم
هو اليوم أولى منكم بالتكسبِ
أحابي بها قبر امرئ لو أتيته
حريباً لآساني على كل مركب
أخوك الذي إن تدعه لملمة يجبك
وإن تغضب إلى السيفِ يغضب[10]

---

(١٠) لبعض الرجال أقاصيص مع نسائهم البخيلات ، كهذه التي رووها عن حجية بن المضرَّب ، فقد رأى جاريته ومعها قعب من اللبن ، فقال : أين تذهبين ؟ قالت : إلى أولاد أخيك اليتامى ، فأراقه ، فلما أراح راعيه ابله عليه قال لعبديه : أريحا هذه الابل عن اولاد أخي ، فأراحاها كلها عليهم ، فغضبت امرأة حجية غضباً شديداً ، فقال حجية هذه الأبيات وقد ذكرها الآمدى في (المؤتلف والمختلف /١٨٣) . لط : لزم ، ملدم : أحمق ثقيل لحيم ، أقفى عيالنا : خيرهم، النواكة : الحمق ، ساف مالهم : نفد ، أفيل : هو ولد الناقة، مصعبِ : فحل من الإبل، حريب : في شدة . إن حجية يصور لنا زوجة=

ويقول ضمرة بن ضمرة :

بكرت تلومك بعد وهنٍ فى الندى
بَسْلٌ عليك ملامتى وعتابى

ولقد علمتُ فلا تظنى غيره
إن سوف تخلِجنى سبيل صحابى

أأصُرُّها وبُنَىَّ عمى ساغب
فكفاك من إبةٍ على وعاب

أرأيت إن صرخت بليل هامتى
وخرجتُ منها باليـاً أثوابى

هل تخمشن إبلى على وجوهها
أم تعصبنَّ رءوسها بسلاب[11]

ويقول زهير :

وأبيض فياض يداه غمامة
على معتفيه ماتُغِبُّ فواضله

= غضبى ، لأنه أنف أن تهدى إلى اولاد أخيه اليتامى لبناً فى قعب ، كما يهدى إلى العبيد والبائسين فى ذلك العصر ، فأمر عبديه أن يريحا الإبل على أولاد أخيه ليحتلبوا مايشاءون ، ولم يعبأ بلوم الزوجة أو غضبها ؟ لأن هذا العمل قد أراح نفسه ، وهو ليس بليد الحس حتى ينصاع للومها ، وليس بأحمق حتى تخدعه بكحلها ، فتنسيه ماوجب عليه ، ولكنه رجل يحتفظ لنفسه بحقوقه ، فلتعش معه على مايريد وهى إذن موضع رعايته كأنها أعز بنيه وإلا فلتفارق ، ثم صور حجية الباعث له على عطفه .

(١١) هاهو ضمرة بن ضمرة تعجل زوجه هى الأخرى بلومه بعد موهن من الليل ، وذلك لأنه أعان ابن عمه بلبن من ابله ، فقال لها : كيف ابقى اللبن فى أضرعها ، وابن عمى جائع ؟ هل ترين أنى إذا مت تخمش على الإبل وجوهها أو تعصب رؤوسها ؟ وجدت الابيات الخمسة فى الأمالى للقالى (٨٢/٢) . بكرت : المراد هنا عجلت ، البسل : الحرام هاهنا ، تخلجنى : تجذبنى ، الإبة : الحياء ، السلاب : خرقة سوداء تتقنع بها المرأة فى المأتم .

بكــرتُ عليه غدوة فرأيتـــهُ
قعــوداً لديـه بالصَّــريم عــواذله

يفدِّينــه طوراً وطــوراً يلمنــهُ
وأعيــا فما يدرين أين مخــاتله ؟

فأقصــرن منه عن كــريمٍ مــرزأ
عـزوم على الأمــرِ الذى هو فاعــله

أخــى ثقــة لا تتلــف الخمــر مــاله
ولكــن قد يتلــفُ المــال نــائلهُ

تــراهُ إذا ماجِئتــهُ متهــللاً
كأنــكَ تعطيه الذى أنت سـائلهُ(١٢)

---

(١٢) يظهر من تتبع اشعار العرب عن الكرم والبخل أن عذل النساء كان شائعاً معتاداً ، حتى ان بعض الشعراء العرب المادحين تحدثوا به ، فزهير بن ابى سلمى (شاعر السلام) يمدح حصين بن حذيفة ، قائلا : إنه رآه صباحاً والعواذل يلمنه تارة ويتوسلن إليه تارة أخرى ، ولكنه أعجزهن فى كلتا الحالتين .

وقد صححت هذه الأبيات من ديوان زهير بن ابى سلمى (قافية الهاء) ولنا ملاحظة فى هذا المجال : إن الشعر الجاهلى ليس كله ممثلاً للعرب أجوادا كراما ، كما ذهب د . طه حسين بتشكيكه الدائم اذ يقول : إن هذا الشعر يمثل لنا العرب أجوادا كراما مهينين للأموال مسرفين فى ازدرائها ، ولكن فى القرآن الكريم إلحاحاً فى ذم البخل ، وإلحاحاً فى ذم الطمع ، فقد كان البخلُ والطمع إذن من آفات الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الجاهلية ، وهو يبنى على هذه الفكرة وأمثالها أن الشعر الجاهلى كله مصنوع منحول لأنه لا يصور الحياة الجاهلية ، وانما يصورها القرآن الكريم .

ونحن نفخر بأن كتاب الله الكريم وسع كل شىء وهو خير مصور للخياة قبل الاسلام بكل معطياتها الا أن ذلك لا يمنع أن نعترف بأن الشعر الجاهلى تحدث بالبخل ، كما تحدث بالكرم ، وأن بعض الناس عيروا بالبخل ، وأن بعض الناس نفروا منه ، ولم ينفروا من رذيلة غير موجودة فى المجتمع ، ثم رأينا بجلاء أن النساء أبخل من الرجال أو هن حقاً بخيلات ملاحظة أخرى : تتصل بالمرأة البخيلة ، لماذا نجد كثيراً من الشعراء حين يفخرون بالكرم أو يمدحون به يصورون النساء عاذلات لائمات ؟ حتى قالوا ان حاتماً طلقته امرأته أو طلقها ، لأنها ألحت عليه أن يبخل ؟ والسؤال : لماذا خصوا الزوجات بهذا العذل=

وقال المرقش الأكبر[١٣] :

إن تُبتدر غـايةٌ يومـاً لمكـرمة ... تَلْقَ السـوابقَ مِنَّـا والمُصلِّيَنـا

=والللوم ويمكنني أن أقول أن كل هذا تخيل من الشعراء أرادوا به أن يعظموا من عزيمتهم وجلال مروءتهم ، لانهم يكرمون حتى حين يلاموا ، والشعراء أداروا هذا الخيال على زوجاتهم ولم يدروه على أمهاتهم أو أخواتهم أو بناتهم ؛ لأن الزوجات أحيانا ليسوا من قرابتهم ، ولكننا نرد على هذه الدعوى بأن من دواعى شرف الرجل أن تكون زوجته كريمة مثله ، لأنها من أصهار كرماء ، أو لأن كرم زوجها أعداها ، فليس مما يشرّف الزوج أن يتخيل اللوم من الزوجة لا من أمه أو أخته . ولم يبق فى نظرنا إلا أن الشعراء فى هذا العصر صوروا حقيقة واقعة ، هى أن النساء بخيلات ، أو على الأقل أبخل من الرجال ، فهن لا يفتأن يلمن على الكرم ويسمينه سفهاً ، ويعذلن على مساعدة الضعاف ، ويدعين ان هذا الكرم يجلب على الفور الفقر والهلاك ولعل بخلهن هذا راجع إلى ظروف خاصة بهن ، منها انهن بعيدات عن التفاعل الاجتماعى أو عن المجتمعات التى يفتخر فيها بالكرم المبالغ فيه ، وانهن فى المقام الأول ربات بيوت حريصات على زاد الأسرة ، والمباشرات لما تحتاجه من طعام ، وعلى أنهن عمليات أكثر من الرجال ، فلا يعبأن بثناء يجر نقصاً فى الأموال أو فقراً وحاجة . وإذا صح هذا فإن ألصق الناس بالرجل زوجته ، فهى تلومه وتغضب من سخائهِ ، وهو يصور هذا اللوم وهذا الغضب ، ويرد على زوجته بما ترتضيه نفسه .

(١٣) كان المرقش فارساً من فرسان بكر ، شارك فى معاركها مع تغلب ، وكان له صوته بين الفرسان فيها ، وكلمته فى تصريف أمر الحرب بها . واسمه عمرو بن سعد بن مالك ، بعث به أبوه إلى الحيرة ، فتعلم وتأدب ، ثم رجع إلى قبيلته بكر ، وتقدم لخطبة ابنة عمه ، فاستصغر عمه شأنه ، وأباها عليه حتى يعرف بالبأس والنجدة ، ويسود القوم ، ويفد على الملوك ، وحاول المرقش ، ولكنه عاش قصة حزينة ، اندفع يطلب اسباب السيادة ، فخاض الحرب مع قبيلته ، وعرف بالفروسية والشجاعة ، وارتحل إلى اليمن ، ونزل بساحة ملوكها ، ثم عاد ليتزوج بابنة عمه ، ولكنها كانت قد تزوجت رجلاً من قبيلة مراد اليمنية ، وزعموا له انها ماتت ، وزوروا لها قبراً .. ثم انكشفت الخدعة ، فارتحل يبحث عنها ، ومرض فى الطريق مرضاً أقعده عن الحركة ، وسمعت به إبنة عمه ، فاسرعت إليه مع زوجها ، وحملاه إلى قبيلة مراد حتى مات ، وسمى المرقش لقوله :

(الـدار قفـر والـرسوم كما ... رقش فى ظهر الأديم قلـم)

والمرقش شاعر مقل ، وأحسن شعره فى الحماسة والفخر . توفى سنة ٥٢٢ م . ومن الرواة من ينسب هذه الأبيات لابن حزن النهشلى . ومعنى الأبيات أن قومه اسبق الناس=

وليس يهـلكُ منا سَيِّد أبداً
إلا افتلينا غُلَامـاً سـيداً فينـا

شـعثُ مفارقنـا ، تغلى مَرَاجلُنَـا
نأسُـوا بأموالنـا آثـارَ أيدينـا

المطعمـون إذا هَبَّـتْ شـآمِيَةٌ
وخـيرُ نـادٍ رآهُ النَّـاسُ نادينـا

ويقول زهـير :

ومن يجعل المعروفَ من دون عِرضِه[١٤]
يقـرهُ ، ومن لا يتـقِ الشـتم يشـتم

ومن يك ذا فضـل ، فيبخل بفضلِهِ
على قومـهِ يسـتغنِ عنـه ويذمـمُ

ويقول المثقب العبدى :

أكـرمُ الجـارَ وارعـى حقـهُ
إن عِرْفَـانَ الفـتى الحق كرَم

ويقول الشنفرى :

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القِلىَ مُتحَوَّلُ[١٥]

=إلى المكرمات ، وأن غيرهم لا يلحقونهم فيها، وإنما يأتون فى أعقابهم، أو يتخلفون بعيداً عنهم ، وان الشرف صفة أصيلة فيهم ، واضحة فى الابناء وضوحها فى الآباء ، فإن مات سيد لم يخل مكانه ، بل يعد ناشىء منهم ليحل محله . وهم أهل كرم وبذل يستعدون دائماً للضيف القادم .

(١٤) من دون عرضه : وقاية له ، يقره : يحفظه .

(١٥) منأى اسم مكان من نأى بمعنى ابتعد ـ وشاعرنا هو ثابت الأوسى الشاعر الجاهلى=

ويقول الأعشى :[16]

ما النيـل أصبح زاخِـراً فى مـده

جادت له ريحُ الصبا ، فجرى لَهَـا

=المعروف والذى ينتهى نسبة إلى قبيلة الأزد العربية ولقب بالشنفرى لضخامة شفتيه . وقيل إن الشنفرى هو الأسد أو الجمل أو الرجل النشيط والمعنى الأخير أنسب من وجهة نظرنا لطبيعة الشنفرى الذى ضرب به المثل فى سرعة العدو حتى لاتدركه الخيل فقيل : أعدى من الشنفرى . وهو من الشعراء الفقراء الذين عرفوا فى تاريخ الأدب العربى « بالصعاليك » والشنفرى من الشعراء الفرسان انضم إلى جماعة « تابط شراً ، وسليك بن السلكة ، والمسيب بن علس ، وعمرو بن براق » وهذا البيت من قصيدة طويلة قالها الشنفرى تعبيراً عن ثورته ضد الظلم ، وعدم رضاه بالذل ، ودعوته إلى احتمال الأذى فى سبيل المحافظة على الكرامة . وهذه القصيدة التى منها البيت معروفة باسم « لامية العرب » لأنها تصور كثيراً من أخلاقيات العرب وعاداتهم .

(١٦) الأعشى هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل ، ينتهى نسبة إلى بكر بن وائل ، ولد فى قرية « منفوحة » من قرى اليمامة بين الخليج العربى والرياض قبل ظهور الاسلام بنحو نصف قرن ، ولقب بالأعشى لضعف بصره ، وقد برع فى الشعر منذ صباه ، واتخذه وسيلة لكسب الرزق ، وتنقل فى اطراف جزيرة العرب ، واختلط بالفرس وامتدح ملوكهم ، وحذق لغتهم حتى ظهر أثر ذلك واضحاً فى شعره فتعريب بعض الكلمات الفارسية . ويعد الأعشى من شعراء الطبقة الأولى فى العصر الجاهلى ولاسيما فى وصف (الخمر) لعنها الله ، ولذلك قال مؤرخو الأدب . « أشهر الشعراء فى العصر الجاهلى امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والأعشى إذا طرب » ، ولشعر الأعشى حلاوة ورنة موسيقية فى نفس سامعة حتى سمي (صناجة العرب) ، وقد عاش حتى ادرك الإسلام وأعد قصيدة فى مدح الرسول ﷺ منها قوله :

فأقسمت لا أرثى لها من كلالة

ولا من حفى حتى تلاقى محمدا

نبى يرى ما لا يرون وذكره

أغار – لعمرى – فى البلاد وانجدا

فعلمت بذلك قريش فاعترضت طريقه ، وأغرته بالمال حتى لا يكون عونا للإسلام بشعرهِ ، فرجع ومات فى طريقه إلى قريته من غير أن يسلم .

يومـاً بأجـودِ نائلاً مِنْهُ إذَا
نَفْسُ البخيلِ تجهمـت سـؤالها

وتقول الخنسـاء[١٧] :

وضـيف طـارق ، أو مسـتجير
يُـروعُ قلبـهُ من كل جَـرْس
فاكرمَـه ، وأَمَّنَـه ، فأمسـى
خلِيًـا بـالهُ من كلِّ بـؤسِ

وقال ذو الإصبع العدوانى لابنه[١٨] :

(يا بنى .... أكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ،

---

(١٧) الخنساء هى تماضر بنت عمرو بن الشريد من بنى سليم . نشأت فى بيت كريم . تقول الشعر مقطوعات قصيرة ، وقد زوجت بأحد أبناء عمومتها، وكان متلافاً للمال مسرفاً وكثيراً ما كان يقع فى الأزمات المالية فكانت الخنساء تلجأ إلى أخيها صخر فيفرج كربتها ، فلما قتل صخر حزنت عليه حزناً شديداً . وقالت فيه الشعر الذى يفيض آلاماً وأحزانا حتى أصبحت الخنساء فارسة هذا الغرض فى شعرنا العربى وبالذات فى العصر الجاهلى ، ولكنها حين دخلت الاسلام وتأثرت بتعاليمه لم تجزع حين استشهد أبناؤها الاربعة فى واقعة القادسية ، وقالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم » . وقد كان الرسول ﷺ ، يعجب بشعرها ويستزيدها منه ، وتوفيت بالبادية فى خلافة معاوية بن أبى سفيان .

(١٨) ذو الأصبع العدوانى : هو حرثان بن محرث العدوانى ينتمى إلى قبيلة عدوان المضرية ، وسمى ذا الاصبع لانه كانت برجلِهِ إصبَع زائدة أو لأن حية نهشت إبهام رجله فقطعها ، وكان من فرسان العرب وحكمائهم المعمرين فى الجاهلية ، وله شعر جيد ونثر ممتاز . وهذه الكلمات من وصية حكيمة صادرة عن مجرب حنكته الأيام يوجهها إلى من يحب وهو ابنه اعز الناس إلى قلبهِ كى ينتفع بها ويسير على ضوئها فى حياته . وقد عرف كثيراً من العرب باستخلاص العبرة من تجارب الحياة ومنهم ذو الاصبع الذى أوصى ابنه أسيداً عندما أحس بدنو الأجل وبقرب الوفاة فقال الوصية التى أخذت منها الكلمات السابقة .

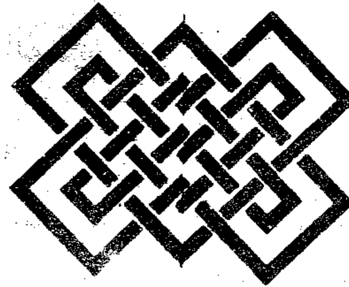
ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك .... ، وأكرم ضيفك ، وأعن من استعان بك.....) .

قالوا : إن حاتم الطائى كان من الأجوادِ الأسخياء : نزل به قوم فى سنة مُجدبة ، شديدة القحط ، فلم يجد ما يقدمه غير فرسِه الحبيب إلى قلبهِ . فنحرة ، لئلا يبيت ضيوفهُ جياعاً .

ويقول قائل لامرأته :

إذا ما صنعت الـزاد فالْتمِسى له

أكيلاً فإنّى لستُ آكله وَحْدِى





رقم الايداع ـــ ٦٩ ٣٨ ـــ ٨٩ ـــ

مكتبة ابن سينا

للنشر والتوزيع والتصدير

٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - النزهة

- مصر الجديدة القاهرة ت ٢٤٧٩٨٦٣ / ٢٤٨٠٤٨٣